




هوميروس بين الاعتقاد اللاهوتي الميثولوجي والفلسفة

د. أحمد مرتاح إبراهيم محمد
مُدرس الفلسفة اليونانية
بكلية الآداب، جامعة العريش
ahmedmertah92@gmail.com

 10.21608/jfpsu.2024.297463.1359

This is an open access article licensed under the terms of the Creative Commons Attribution International License (CC BY 4.0). <http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>



هوميروس بين الاعتقاد اللاهوتي الميثولوجي والفلسفة

مُستخلص

يتناولُ هذا البحثُ "هوميروس بين الاعتقاد اللاهوتي الميثولوجي والفلسفة"؛ إذ يعدُّ هوميروس من أوائل الشعراء والأدباء الذين استخدموا الأساطير لتصوير اعتقاداتهم الخاصة بالحياة الإنسانية كوحدة متكاملة بكلِّ جوانبها المختلفة، وهذا ما يظهرُ في ملحمتيه "الإلياذة والأوديسة"، فهاتان الملحمتان تتناولان عددًا من الاعتقادات الراسخة عند هوميروس، هذه الاعتقادات تحمل رؤيةً إنسانيةً عميقةً الأبعاد، وتُعدُّ خيرَ تمهيدٍ للفلسفة في نشأتها الأولى، وقد قسَّمْتُ البحثُ إلى ستة عناصر، الأول: اعتقاد الألوهية عند هوميروس، والثاني: القضاء والقدر، والثالث: الموت والعالم الآخر، والرابع: المرأة، والخامس: انفعال الغضب، والسادس: الصداقة.

وقد توصلَ الباحثُ في نهايةِ بحثه إلى أنَّ اعتقادات هوميروس التي سلَّم بها في الإلياذة والأوديسة لم تكن اعتقادات خُرافية، بل كانت ظلًّا للحقيقة السائدة في المجتمع اليوناني آنذاك، فالأساطير العظيمة التي تحملها الملحمتان السابقتان ليست أوهامًا، بل هو منطوق النفس الإنسانية في ذلك الوقت، وما الأساطير إلا الإدراك الرمزي لتلك الحقائق، كما تُعتبر هذه الاعتقادات خطوات تمهيدية للفكر الفلسفي اليوناني، وكان لها تأثيرٌ كبيرٌ على عددٍ من الفلاسفة اليونان.

الكلمات المفتاحية: هوميروس، اعتقاد، ألوهية، القدر، الغضب.

Homer between Mythological Theological Belief and Philosophy

Dr. Ahmed Mertah Ibrahim Mohamed
Lecturer of Greek Philosophy
Faculty of Arts, Arish University

Abstract

The topic of this study is "**Homer between Mythological Theological Belief and philosophy**", Homer is credited as being among the first poets and authors to employ mythology. His two epics, "The Iliad and the Odyssey", illustrate his conviction in the unity of diverse humanities as an integration in varied facets. These two epics address a variety of Homer's solid beliefs. These ideas, conveying a profound human vision are regarded as the finest introduction to philosophy in its primary stage. This research is divided into six elements: the first element is Homer's belief in Divinity, the second: Fate and Destiny, the third: death and the hereafter, the fourth: women, the fifth: Emotion of anger, and the sixth: friendship.

After conducting extensive investigation, the researcher comes to the conclusion that Homer's identified ideas in the Iliad and the Odyssey are not superstitious, but rather a reflection of the truth dominant in the Greek society. The great myths in the first two epics are not made up; rather, they represent the human soul at that particular moment, and myths are nothing more than the symbolic manifestation of these truths. These ideas, seen as forerunners of Greek philosophy, greatly impacted several Greek philosopher.

Keywords: Homer , Believe, Divinity, Destiny, Anger.

مقدمة:

تُعَدُّ الأساطير إحدى الأشكال الرمزية التي صوّرت أفكارَ البشر وأحلامهم في فترة من فترات التاريخ الإنسانيّ قبل أن يتمكنَ الإنسانُ من التوصلِ إلى المعرفة بشكلها ومعناها الواضح والمباشر، فَمُنذُ فجر التاريخ سعى الإنسان إلى فهم الطبيعة والكون، ومعرفة القوى المُهيمنة على الحياة والوجود؛ إذ كانت حياة الإنسانِ الأوّلِ شاقّةً وعسيرةً، وكان العالم من حوله يَعجُّ بظواهر لا يفهمها، ومشكلاتٍ لا يقوى على تعليلها، ولكنه كلما ازداد الإنسان على مَرِّ الزمان خيرةً وذكاءً ازدادت رغبته في فهم الطبيعة وتفسيرها؛ فكان من الطبيعي أن ينسج الإنسان الأوّل القصص حول ظواهر الحياة والكون، فكان الخيالُ رائدُهُ الأوّل في كشف غموض تلك الأسرار، واعتمد في أسلوبه هذا على لغةٍ خاصّةٍ هي لغةُ الأسطورة.

ويعدُّ هوميروس من أوائل الشعراء والأدباء الذين استخدموا الأساطير؛ لتصوير اعتقاداتهم الخاصة بالحياة الإنسانية كوحدة متكاملة بكل جوانبها المختلفة، وهذا ما يظهر في ملحمتيه "الإلياذة والأوديسة" فهما - دون شك - من أقدم الأعمال الأدبية التي وصلتنا من التراث الإغريقي، ومن المحتمل أن الإلياذة قد تم تأليفها في النصف الأخير من القرن الثامن قبل الميلاد، وهي تحكي الأيام القليلة من السنة العاشرة للحرب التي دارت رحاها بين الإغريق والطوراديين، أما الأوديسة فقد ألّفها هوميروس في فترة متأخرة من حياته، وتتأول فيها متاعب العودة إلى أرض الوطن للبطل أوديسيوس Odysseus.

وتعتبر الملحمتان الهومييريتان "الإلياذة والأوديسة" أولى الخطوات التمهيدية في الطريق إلى الفلسفة؛ ففي كل قراءة من الملحمتين يكتشف المرء شيئاً جديداً يدعو إلى التأمل والتفكير، والتساؤل ماذا يُريد هوميروس أن يقول لمستمعيه، وقُرَّائِهِ وملتَقِيِيهِ عبر العصور؟ هل هاتان الملحمتان مجرد قصصٍ خرافيةٍ لهوميروس لم يُردْ منها شيئاً أو أنها تحملُ مضموناً فلسفياً يتوافق مع رؤى وأفكار وظروف المجتمع الذي نشأت فيه؟ وهي بهذا تُعدُّ مجالاً خصباً يستثمره الباحثون في إدراك العلاقة بين الإنسان والطبيعة.

ومن هنا تكمن أهمية البحث؛ إذ إنّ الملحمتين بمنزلة الإرث الإنساني، وتأسَّسَ عليهما الوعي الطفولي، ثم ما لبث أن تطوّر العقلُ فتحوّل نحو التفلسف والتجريب، وحاول فيهما فهم الإنسان تجاوز أبعاد الواقع والبحث عن ماهية الكون والوجود الإنساني، وحاول فيها فهم الصراع

بين إرادة الاعتقاد عند الإنسان من جهة ومسئولياته تجاه الكون والحياة من جهةٍ أخرى. ويتمثلُ هدفُ من هذا البحث في توضيح بعض من الاعتقادات الراسخة عند هوميروس التي سلّم بها في الإلياذة والأوديسة؛ إذ تحمل هذه الاعتقادات رؤيةً إنسانيةً عميقةً الأبعاد، وتُعدُّ خيرَ تمهيدٍ للفلسفة في نشأتها الأولى؛ فالإلياذة والأوديسة تطرحان قضايا كثيرةً تتعلقُ بموقف الإنسان في الحياة، والكون، وفلسفته، ومبادئه، وكلها تستحق القراءة والتفكير والمناقشة، وسأتوقف عند عدد من هذه الاعتقادات التي تتجلى هذه الأبعاد في معظمها.

• إشكالية البحث:

تتلخص إشكالية البحث في السؤال الآتي:

ما أهم الاعتقادات عند هوميروس في ملحمتيه " الإلياذة والأوديسة" التي قد تحمل

رؤية فلسفية إنسانية؟

ويتفرغ من هذا السؤال أسئلة عدة:

- ١- ما أهم اعتقادات هوميروس عن الألوهية؟
- ٢- ما موقف الفلاسفة النقدي من النزعة الأسطورية الثيولوجية عند هوميروس؟
- ٣- ما مفهوم القضاء والقدر كما تناولته الإلياذة والأوديسة؟
- ٤- كيف تصوّر هوميروس الموت والعالم الآخر؟
- ٥- ما مفهوم المرأة عند هوميروس؟
- ٦- ما اعتقاد هوميروس عن الغضب وانفعالاته؟
- ٧- كيف تصور هوميروس الصداقة؟

• منهج البحث:

أحاول في هذا البحث الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال اتباعي لمنهجٍ بحثٍ متنوعٍ أهمها: **المنهج التاريخي** الذي يسمح بتتبع الفكرة وبيان تطورها، و**المنهج التحليلي**؛ لتحليل اعتقادات هوميروس المختلفة من خلال ملحمتي الإلياذة والأوديسة؛ وللوقوف على أهم هذه الاعتقادات، كما استخدمت **المنهج المقارن**؛ للمقارنة بين بعض اعتقادات هوميروس ومثيلتها عند فلاسفة اليونان، وكذلك **المنهج النقدي**؛ للوقوف على إيجابيات هذه الاعتقادات وسلبياتها، وموقف بعض الفلاسفة منها.

• خطة البحث:

وبناءً على ما تقدّم قسّمُ البحث إلى مقدمة وستة عناصر وخاتمة، وتضمنت المقدمة تعريفاً بموضوع البحث، وأهميته، وأهدافه، وكذلك إشكاليته، والمنهج المستخدم، أما العناصر فهي كالآتي:

أولاً- اعتقاد الألوهية عند هوميروس.

ثانياً- القضاء والقدر.

ثالثاً- الموت والعالم الآخر.

رابعاً- المرأة.

خامساً- انفعال الغضب.

سادساً- الصداقة.

وختمُ ذلك كله بنتائج البحث العامة، ثم قائمةً بالمصادر والمراجع التي اعتمدتُ عليها.

• أولاً- اعتقاد الألوهية عند هوميروس:

يُعدُّ هوميروس من المؤسسين للديانة اليونانية القديمة، ويظهر ذلك من خلال ملحمتيه "الإلياذة والأوديسة"، فهما بمنزلة إنجيل اليونان المُقدَّس الذي صوّر لليونانيين آلهتهم، وتحدّث عن صفاتهم وأفعالهم، ومن ثمّ فإن هوميروس يعدُّ بمنزلة الكاهن الأول والمؤسس الحقيقي لعالم الآلهة الأوليمبية^(١)، وهو الأمر الذي جعل هيرودوت Herodotus (٤٨٤-٤٢٥ ق.م) يؤكد أن هوميروس هو المُعلّم اللاهوتي العظيم لدى اليونان^(٢)؛ إذ قال هيرودوت: "أنا أعتقد أن هوميروس وهزيود عاشا قبل عصري بأربعمئة سنة لا أكثر، وهما اللذان دَوّنا لليونانيين أنساب الآلهة وسمياها بألقابها، وتكلما عن مرتبة الشرف لكل منها، واختصاصاتها وفصلاً أشكالها"^(٣).

ولقد اعتقد هوميروس أن جبل الأوليمبوس Olympus هو مستقر الآلهة

(١) علي حسين قاسم: جدلية العلاقة بين الدين والأسطورة "دراسة تحليل لمفهوم الأسطورة في فلسفة الدين"، بحث منشور في حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، المجلد الخامس، ج ١، ٢٠١٦، ص ٥١.

(٢) Clifford H. Moore: The Religious Thought of the Greeks "From Homer to the Triumph of Christianity", Harvard University Press, London, 1916, p. 28.

(٣) هيرودوت: الكتاب الثاني "عن مصر"، ترجمة عن اليونانية د. محمد صفر خفاجة، تقديم: د. أحمد بدوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧، ف ٥٣، ص ١٥٥، ص ١٥٦.

ومسكنهم^(٤)؛ إذ شكّلوا هناك مجتمعًا له قوانينه وتسلسله الهرمي الخاص به، وفي المقدمة تأتي الآلهة الاثنتا عشرة الكبار^(٥)، وهم زيوس Zeus السيد المُسيطر والقائد الأعلى وأب الآلهة والبشر، ثم هيرا Hera حارسة الزواج، وبوسايدون Poseidon إله البحر، وأفروديت Aphrodite قوة الحب، وأرتميس Artemis ربة الطبيعة البرية، أما أثينا Athena - بالإضافة إلى الخصائص الحربية - ربة الحكمة ورعاية الحرف الفنية، كما أن ديميتير Demeter أصبحت الأرض الأم، وارتبطت بصفة خاصة بحصاد القمح، أما الإله أبوللو Apollo فهو إله الشمس الذي يرسل أشعته؛ فينشر البواء كالسهم، وأما الإله هيرمس Hermes فهو رسول الآلهة الذي يُرافق الموتى، وهو بصفة عامة المُحتال النشط، وهيفايستوس Hephaestus إله النار والإله الحداد، وأريس Ares إله الحرب، وأخيرًا هيستا Hestia ربة المدفأة والمنزل، وبذلك يكتمل عدد الآلهة لثي عشر إلهًا^(٦).

وإلى جانب هؤلاء اصطفت آلهة أخرى، ولكن اعتبرهم هوميروس في منزلة أدنى من منزلة الآلهة في جميع صفاتهم، وتصورهم الإلياذة والأوديسة في صورة أتباع وحاشية للآلهة، أو قائمين بوظائف ثانوية بالنسبة إلى وظائف الآلهة، ومنهم السيكلوب^(*) Cyclops الملائمون للإله هيفايستوس^(٧).

ويشير هوميروس أيضًا إلى أن أي شخص يكون مُميزًا عن غيره يُلقَّب بالبطل (Hero)، وكان البطل لديه ابنًا لإنسانٍ فإنَّ وإلهٍ خالدٍ، وهو يتفوق بشكلٍ أساسيٍّ على

(4) New Larousse Encyclopedia of Mythology, introduction by Robert Graves, Translated by Richard Aldington and Delano Ames, Revised by: a panel of editorial advisers from the Larousse my Thologie Generate, Edited by: flexi Guirand, The librairie Larousse Paris, 1st edition, 1987, p. 106.

(٥) ف. جويراند: الآلهة والأساطير اليونانية، ضمن موسوعة تاريخ الأديان "اليونان - الرومان- أوروبا ما قبل المسيحية، ك٣، ترجمة: أسامة منزلي، نيفين أديب وآخرون، تحرير: فراس السواح، دار التكوين، دمشق، ط٤، ٢٠١٧، ص٤٩.

(٦) جفري بارندر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، ١٩٩٣، ص٥٢، ص٥٣.

(*) مسوخ من جنس الجبارة، ذو قدرات خارقة بعين واحدة في وسط الجبهة، وهم في الميثولوجيا اليونانية عُمال مهرة يصنعون الصواعق وأسلحة الآلهة. انظر: هوميروس: الأوديسة، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٢١، الأنتشودة الأولى، ص٧٨، في الهامش.

(٧) علي عبد الواحد وافي: الأدب اليوناني القديم ودلالاته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠، ص٢٣.

البشر العاديين^(٨)؛ فالبطل كما يظهر في الإلياذة والأوديسة هو كائن بشريّ خارق للطبيعة مُتصل بالآلهة^(٩)، وأبطال هوميروس في الواقع ليسوا بشرًا عاديين تمامًا، كما أنهم ليسوا من الآلهة، ولكنهم يتحركون في المنطقة الوسطى الواقعة بين الآدمية والألوهية، وهم يميلون إلى هذا الجانب أحيانًا، ويتعدون عنه إلى الجانب الآخر أحيانًا أخرى، ولا يفقدون صلتهم تمامًا بهذا الجانب أو ذاك^(١٠)، ومن أشهر هؤلاء الأبطال في الإلياذة والأوديسة أخيليوس Achilles، وباتروكلوس Patroclus، وأجاممنون Agamemnon، ومينيلائوس Menelaus^(١١).

وقد أعطى هوميروس لزيوس صورة خاصة بين الآلهة؛ إذ هيمن على مجتمع الآلهة كحاكمٍ مطلقٍ كونه رئيس البانثيون Pantheon اليوناني (معبد كل الآلهة)^(١٢)، وأبا البشر والآلهة على السواء^(١٣)؛ فهو سيد البرق والعواصف وهو الأقوى من بين الجميع، وهو خصمٌ عنيدٌ لا يستطيع أحد أن يقف في طريقه^(١٤).

ويتضح مما سبق أن هوميروس في الإلياذة والأوديسة يؤمن بتعدد الآلهة وعلى رأسهم زيوس، وقد أضفى على هذه الآلهة صفات شخصية Personalized ومجسمة^(١٥) Anthropomorphic؛ فيمكن للآلهة أن تشارك في المآذب؛ فقد شارك زيوس نفسه في مأدبة مع الأثيوبيين الشرفاء، وقد تبعه في ذلك كل الآلهة^(١٦)، كما يُمكن للآلهة أن تخرج عن شعورها في الحديث؛ فزيوس نفسه قذف بابنه هيفايستوس من عتبة السماء فاندفع في الفراغ يومًا بأكمله وذلك بسبب دفاعه عن والدته الإلهة هيرا في أثناء

(٨) بيير ديفانبيه وآخرون: معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج (أ-ز)، ترجمة وتقديم: أحمد عبد الباسط حسن، مراجعة: فايز يوسف محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤، ص١٩٤، مادة (الأبطال).

(٩) كارم محمود عبد العزيز: أساطير العالم القديم، مكتبة النافذة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧، ص٢٥٣.

(١٠) أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًا وعالميًا، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧، ص٦٢.

(١١) علي عبد الواحد وافي: الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، ص٢٤٤.

(١٢) Lewis Spence: An introduction to mythology, Moffat yard and Company, New york, 1921, p. 283.

(١٣) هوميروس: الإلياذة، ك١، ترجمة: د. لطفي عبد الوهاب يحيى، تحرير وتقديم ومراجعة: د. أحمد عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨، ف٥٤٥، ص١٤١. وانظر أيضًا: هوميروس: الأوديسة، الأثشودة الأولى، ص٧٥.

(١٤) هوميروس: الإلياذة، ك١، ف٥٨٠، ف٥٨٥، ف٥٩٠، ص١٤٢.

(١٥) Lewis Spence: Op. Cit. p. 258.

(١٦) هوميروس: الإلياذة، ك١، ف٤٢٥، ف٤٣٠، ص١٣٦. وانظر أيضًا: المصدر نفسه: ك١، ف٦٠٠، ص١٤٣.

شجارها مع زوجها زيوس^(١٧).

كما يُمكن لآلهة هوميروس أن تتشاحن وتتشاجر من أجل البشر، وهذا ما يصوره هوميروس في الإلياذة، حيث تشاجرت الإلهة هيرا مع زيوس كبير الآلهة بعدما جلس زيوس واستمع إلى مشورة ثيتيس Thetis (والدة أخيليوس) بأن يقف بجوار الطرواديين ويمنحهم القوة ضد الآخيين^(*) Achaeans؛ حتى تُعاد سبية أخيليوس التي أخذها منه أجاممنون، وقالت الإلهة هيرا لزيوس:

" من هي من بين الآلهة أيها المخادع الكبير، تلك التي كانت تبادلك المشورة الحميمة، إنك تفعل دائماً ما يروق لك من خلف ظهري، ثم تصدر أحكامك التي فكرت فيها في الخفاء، ولم تحاول مرة واحدة أن تُطلعني على الأمر الذي تتنويه".

وهنا أجابها زيوس:

" أي هيرا لا تألمي إطلاقاً في أن تعرفي كل ما أقرره؛ فإن ذلك سوف يُكلفك من أمرك عسراً حتى لو كنت زوجتي، إن ما أجدّه من الملائم أن تسمعيه لن يعرفه من قبل أحد من الآلهة أو البشر، ولكني حين أفكر في أن أقدم على أمرٍ دون أن أرجع فيه إلى الآلهة، فليس لك أن تسأليني عنه بالمرّة"^(١٨).

ويعتقد هوميروس أن الآلهة يُمكن أن تُشارك في القتال؛ إذ إن أفروديت (ابنة زيوس) شاركت في القتال بين ألكسندروس (باريس) - شبيه الآلهة وابن برياموس الطروادي وزوج هيلين - وبين مينيلائوس في المباراة القائمة بينهما؛ وذلك من أجل الظفر بهيلين وانتهاء الحرب، وعندما سيطر مينيلائوس على ألكسندروس واستطاع أن يخنقه، وكاد أن يفوز بالمجد، تدخلت أفروديت ومنعت فوز مينيلائوس بالمبارزة واستعاد

^(١٧) هوميروس: الإلياذة، ك ١، ف ٥٩٥، ص ١٤٣.

^(*) الآخيين: اسم أطلقه هوميروس على الإغريق في أشعاره الملحمية، وقد أطلق أيضاً عليهم إلى جانب هذه التسمية، تسميتين آخرين هما: الدانائيون وشعب أرجوس (الأرجيون)، وقد جاء استخدامه للتسميات الثلاثة بشكلٍ مترادف. انظر: هوميروس: الإلياذة، ص ١١٩، في الهامش. وانظر أيضاً: بيير ديفانبيه وآخرون: معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج ١ (أز)، ص ٦٥، مادة (الآخيون).

^(١٨) هوميروس: الإلياذة، ك ١، ف ٥٤٥، ص ٥٥٠، ص ١٤٠، ص ١٤١.

ألكسندروس هيلين مرة أخرى^(١٩)، يقول هوميروس:

"ولكن الصراع الحاد والمرير نشب بين بقية الآلهة، واحتدمت
الانفعالات فيما بينهم في اتجاهات شتى،
اصطدموا مع بعضهم البعض في حلبة مدوية ارتجت
لها الأرض الفسيحة ورددت أصداءها، وتجاوبت السماء
العريضة بطنين مدو كأنهما بوق"^(٢٠).

ويلاحظ أن نظرة هوميروس للآلهة مليئة بالتناقضات؛ فبالرغم من أن زيوس هو حارس العدالة، ولكنه مخادع وغادر إذا سنحت له الفرصة المناسبة لذلك، فهو يفعل وفقاً لهواه، كما هو الحال عندما يرسل بناءً على طلب ثيتيس حلماً وهمياً إلى أجاممنون لحثه على خوض المعركة على الرغم من أنه لا يُمكن أن ينجح في ذلك^(٢١)، كما أن زيوس هو المسئول عن خرق الهدنة بين الطرواديين والآخيين؛ إذ وجه زيوس أثنين بكلمات مجنحة؛ فقال:

"أسرعي إلى ميدان المعركة بين الطرواديين والآخيين، وحاولي أن
تدفعي الطرواديين للإساءة إلى الآخيين الأماجد بنقض الهدنة"^(٢٢).

كما صوّر هوميروس زيوس بأنه مُخادع يخالف وعده؛ إذ وعد أجاممنون بأن النصر حليفه، وعندما طلبت منه ثيتيس أن ينحاز إلى الطرواديين ضد الآخيين؛ لكي يسترد شرف ابنها أخيلئوس من أجاممنون، ويعيد إليه سبيته، فوافق زيوس على ذلك^(٢٣)، يقول أجاممنون:

"أيها الأصدقاء، يا زعماء الأرجبيين وقادتهم،

لقد أوقعتني زيوس بن كرونوس - ذلك القاسي - في حرج كبير،
فقد أعلن موافقته ووعدي بألا أشق طريقي للوطن قبل تحطيم إليون
الحصينة تماماً، أما الآن فقد خطط لخيانة مُخجلة؛ إذ يأمرني

(١٩) هوميروس: الإلياذة، ك٣، ترجمة: د. لطفي عبد الوهاب يحيى، ف ٣٧٠، ص ٢٠٢.

(٢٠) المصدر نفسه: ك٢، ترجمة: د. أحمد عثمان، ف ٣٨٥، ص ٦٩٣.

(٢١) Clifford H. Moore: Op. Cit. pp. 19-20.

(٢٢) هوميروس: الإلياذة، ك٤، ترجمة: د. أحمد عثمان، ف ٧٠، ص ٢١١.

(٢٣) المصدر نفسه: ك١، ف ٥١٠، ص ٥٢٥، ف ١٣٩، ص ١٤٠.

أن أعود إلى أرجوس مجللاً بالعار^(٢٤).

وعلاوة على ذلك فإن آلهة هوميروس ليست كُلية العلم ولا كُلية القدرة، فإذا اعتقد هوميروس أن الآلهة تعرف كل شيء فهذه تحية تقيّة للشاعر، ولكن السرد يُظهر أن ذلك غير صحيح^(٢٥)؛ ففي الكتاب الثالث عشر من الإلياذة كان زيوس يُحَدِّق في تراقيا وفشل في ملاحظة أن بوسايدون دخل المعركة من السهل الذي تحته مباشرة^(٢٦)، كما اعتقد هوميروس أن الآلهة يمكن أن يُصيبها الخوف^(٢٧) والحزن^(٢٨)، ويُمكن لها أيضًا أن تُدبّر الشرور^(٢٩).

هكذا كان اعتقاد هوميروس عن الألوهية اعتقادًا طقسياً بشرياً، أضفى على الآلهة صفات مُجسّمة بشرية؛ فهم يأكلون ويشربون، ويتزوجون، ويحزنون، ويتشاحنون، ويتقاتلون، ويخدعون... إلخ؛ فهم يقعون في نفس الأخطاء التي يقع فيها البشر، وينزلقون إلى نفس المزالق، وتستهويهم الشهوات والمعارك وغيرها، ويكاد المرء لا يشعر بأية فروق بين البشر والآلهة عند هوميروس.

ورغم اعتقاد هوميروس بأنسنة الآلهة إلا أنه أدرك في الوقت نفسه أن هناك فروقاً بينهم، وأول هذه الفروق أن الآلهة لا تشعر بالشيخوخة ولا يأتيها الموت^(٣٠)؛ إذ إنَّ هناك سائلاً عجبياً يجري في عروقهم فيكفل لهم الخلود^(٣١)، كما أن الآلهة كائنات أكبر وأكثر حكمة وقدرة من البشر، ولديهم سيطرة خارقة ولكنها ليست كاملة على الطبيعة والبشر، وإن تفوقهم الرئيس يكمن في هذه القوة والقدرة الفائقة، وفي امتلاكهم الخلود^(٣٢)؛ ولذلك يُمكن القول بأن الحدود

(٢٤) هوميروس: الإلياذة، ك ٩، ترجمة د. منيرة كروان، ف ٢٠، ف ٢٥، ص ٣٣٧.

(٢٥) Clifford H. Moore: Op. Cit. p. 10.

(٢٦) هوميروس: الإلياذة، ك ١٣، ترجمة: د. أحمد عثمان، ف ١٠، ف ٢٥، ص ٤٥٥.

(٢٧) المصدر نفسه: ك ١، ف ٤١٠، ص ١٣٥.

(٢٨) المصدر نفسه: ك ١٢، ترجمة: د. منيرة كروان، ف ١٨٠، ص ٤٣٩.

(٢٩) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثالثة، ص ١١٨.

(٣٠) س.م. بورا: التجربة اليونانية، ترجمة: د. أحمد سلامة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٧٩.

(٣١) هوميروس: الإلياذة، ك ١، ف ٤٩٥، ص ١٣٨. وأيضاً: المصدر نفسه: ك ٥، ترجمة: د. أحمد عثمان، ف ٣٤٥، ص ٢٤٢. وانظر أيضاً: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٤.

(٣٢) Clifford H.: Moore: Op. Cit. p.9.

الإلهية والتميز البشري يسيران معًا جنبًا إلى جنب^(٣٣).

وتظهر الآلهة الهوميرية في الأوديسة بالوظائف والاتجاهات والصفات نفسها التي ظهوروا بها في الإلياذة، غير أن هوميروس كان أكثر احترامًا للآلهة في الأوديسة؛ فلا تظهر في الأوديسة تلك المشاهدات العنيفة التي صورتها الإلياذة، فالديانة التي تصورها هوميروس في الأوديسة هي أرقى بكثير من الديانة التي تصورها في الإلياذة رغم اتفاقهما في جوهر العقائد، ولعل هذا يرجع إلى أن المعتقدات اليونانية كان قد نالها شيء من التهذيب في الفترة الفاصلة بين تأليف القصيدتين، وأن المؤلف قد تأثر في كليهما بما كان عليه الدين اليوناني في عصر تأليفهما^(٣٤).

إذن طرح هوميروس اعتقادًا لتلك الآلهة الذين يعيشون على جبل ويتصرفون كأنهم بشر أرسنقراطيون عدا أنهم خالدون، واعتقاده هذا عن العالم الإلهي هو في الأصل اعتقاد شرقي؛ ففي بلاد ما بين النهرين يُهيمُنُ إله الريح إنليل (مثل زيوس) على عائلته وبلاطه، وأحيانًا ما يُفسد إله الماء "إنكي" (مثل بوسايدون وهيرمس) عليه متعته، كما تُمارس إلهة الجنس والحرب عشتار حيلها وسلطانها (مثل أفروديت وأثينا)^(٣٥)، كما تصوّر المصريون آلهتهم على الشاكلة البشرية، فهُم يفرحون، ويتألمون، ولهم غرائزهم وشهواتهم^(٣٦)؛ لذا يُمكن القول بأن تصور هوميروس عن الألوهية قريب إلى حد كبير من تصور الشرقيين القدماء لآلهتهم، ولكن مع ذلك ينبغي ألا نُقل من شأن إعادة التشكيل المبتكرة من قبل هوميروس.

والسؤال هنا هل هذه الصورة التي تصوّرها هوميروس عن الألوهية من خياله الخاص صادفت قبولًا عند المجتمع اليوناني القديم؟ أو إن هوميروس عبّر عن المعتقدات

(33) Emily Kearns: The Gods in the Homeric epics, in the Cambridge Companion to Homer, Edited by: Robert Fowler, Cambridge University press, 2006, p. 64.

(34) انظر: علي عبد الواحد وافي: الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، ص ٨٦، ص ٨٧. وأيضًا: حربي عباس عطيتو: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩، ص ٦٠.

(35) باري بي باول: هوميروس، ترجمة: محمد حامد درويش، مراجعة: شيماء طه الريدي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٩، ص ١٠٦.

(36) حسن نعمة: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤، ص ٩٧. وانظر أيضًا: مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ٢، ١٩٨٨، ص ٢٦.

اليونانية السائدة آنذاك في صورة قصائد شعرية؟ وفي ذلك يقول توماس كارلايل في كتابه "الأبطال": "إذا أخرج الشاعر قصةً أنيقةً جعلها رمزاً لمعتقدات جيله، أتحسب أنها أقدم عهداً من تلك المعتقدات! كلا بل كانت العقائد أولاً، ثم أنشئت القصيدة رمزاً إليها وتمثيلاً لها؛ فالعقيدة أصل والشعر صورة، والعقيدة حقيقة والشعر ظلها^(٣٧)، وأنفق مع كارلايل في ذلك؛ إذ إنَّ اعتقاد هوميروس عن الألوهية وتصويره لها بهذه الصورة في الإلياذة والأوديسة هو ظل للحقيقة التي كانت سائدة في المجتمع اليوناني وصورة لما كان يعتقد أهله^(٣٨).

إنَّ يُمكن القول بأن اعتقاد هوميروس عن الألوهية لم يكن اعتقاداً خرافياً، بل كان ظلّاً للاعتقاد الطقسي الذي كان سائداً في بلاد اليونان آنذاك، وما دامت الآلهة قد تشابهت مع البشر في الإلياذة والأوديسة فمن الطبيعي أن يوضح هوميروس الصلة التي تربط بين الآلهة من جهة والمجتمع البشري من جهة أخرى، فما العلاقة بين عالم الآلهة والعالم الأرضي كما تصورهما هوميروس؟

• تقديم القرابين:

إنَّ الديانة الهوميرية لم تُعَوَّل كثيراً على العلاقات المتبادلة مع الآلهة بقدر ما اعتمدت على الممارسة السليمة للشعائر التقليدية؛ لأنَّ علاقة الإنسان بالآلهة في العصر الهوميري لم تكن علاقة أخلاقية وإنما علاقة طقسية^(٣٩) تعتمد على تقديم القرابين والذبائح للآلهة المقدسة؛ فهي بمنزلة هدايا للآلهة، كما أنها تُشكّل البرهان الأوضح على الورع والقوى، وكانت الآلهة تسعد بالجزء المحروق من الأضحية، وهناك حيوانات مُعينة كانت مُقدَّسة عند هذا الإله أو ذاك؛ فالعجلة هي حيوان أثينا المُقدَّس، والبقرة لهيرا، والخنزير لديمتر، والثور لزيوس، والحصان لبوسايدون،... إلخ^(٤٠).

وتتعدد أشكال هذه القرابين وأغراضها؛ فهناك من يُقدِّم القرابين بقصد التكفير أو التعويض عن سوء أفعاله، أو ربما يفتح طريقاً تتدفق منه القوى الخارقة إليه، وهذا يُدعى

(٣٧) توماس كارلايل: الأبطال، ترجمة: د. محمد السباعي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر، ص ٢٠.

(٣٨) انظر: مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، ص ٣١.

(٣٩) Clifford H. Moore: Op. Cit. p. 21.

(٤٠) جون ريتشارد: الديانة اليونانية، ترجمة: وفاء طقوز، ضمن موسوعة تاريخ الأديان "اليونان-الرومان-أوروبا ما قبل المسيحية"، ك٣، ص ٢٥.

بقربان الأسرار^(٤١)، ويظهر ذلك في الأنشودة الثالثة من الأوديسة حينما قدّم أيجيسثوس Aegisthus قرباناً عندما قُتل أجامنون وأخذ زوجته؛ إذ أحرق كثيراً من قطع لحم الأفخاذ على مذابح الآلهة المقدسة، كما علّق لهم الكثير من مصنوعات النسيج والأشياء الذهبية؛ لقيامه بعمل جريء يفوق كل ما كان يرجوه قلبه بهدف المغفرة والتعويض عن سوء أفعاله^(٤٢).

كما يُمكن تقديم القربانين من أجل استرضاء الآلهة واستمالتها، وهذا يُسمى بالقربان الاسترضائي^(٤٣)، ويظهر ذلك في الكتاب السادس من الإلياذة في حديث هيكتور Hector-البطل الطروادي- مع والدته؛ إذ قال:

" فلتذهبي أنتِ بالقربانين إلى معبد

أثينا جالبة الغنائم، ولتأخذي معكِ الزوجات العجائز،

وضعي الرداء الذي ترين أنه الأجمل والأوسع في القاعة

والأعز لديك، ضعيه على ركبة أثينا ذات خصلات

الشعر الكثيف والجميل، وأذني لها أن تدبحي في معبدها

اثني عشر عَجلاً لم يلمسها مهماز بعد؛ إذ أشفقت على طروادة

وزوجات الطرواديين وأطفالهن الصغار، وأبعدت ابن تيديوس

ذلك المحارب الشرس عن أليون"^(٤٤).

كما يرى هوميروس أن الآلهة يمكن أن تغضب نتيجة عدم الوفا بالوعود، أو عدم تقديم القربانين، وهذا ما صوره لنا هوميروس في حديث أخيليوس مع أجامنون في الكتاب الأول من الإلياذة؛ إذ أخذ يسأل عن سبب غضب الإله أبولو هل هو نتيجة وعدٍ أخلفناه؟ أو قربانٍ من مائة ثور لم تقدمه؟^(٤٥)

وقد يكون تقديم القربانين شكراً وعرفاناً للآلهة وليس من أجل طلب شيءٍ ما، ويظهر

(٤١) فراس السواح: موسوعة تاريخ الأديان " الشعوب البدائية والعصر الحجري"، ك١، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط٤، ٢٠١٧، ص٣٩.

(٤٢) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثالثة، ص١٢٣.

(٤٣) فراس السواح: موسوعة تاريخ الأديان " الشعوب البدائية والعصر الحجري"، ك١، ص٣٩.

(٤٤) هوميروس: الإلياذة، ك٦، ترجمة: د. أحمد عثمان، ف٢٧٠، ف٢٧٥، ص٢٧٤.

(٤٥) المصدر نفسه: ك١، ف٦٥، ص١٢٢. وانظر أيضاً: المصدر نفسه: ك٢، ف٥، ف١٠، ص٤٣٣.

ذلك في الأثوذة الثالثة من الأوديسة في حديث نيسطور^(٤٦) Nestor مع تيليمachus Telemachus (ابن أوديسوس) وهو يحكي له عن الحرب؛ إذ قَدَّم الأخيين أفضاخ الثيران قرابين للآلهة فوق مذبح بوسايدون تعبيراً عن شكرهم لوصولهم بالسلامة إلى أرض الوطن؛ واجتيازهم البحر العظيم بأقصى سرعة دون أن يقابلهم أي بلاء^(٤٦).

إذن يُمكن القول بأنَّ هناك سلوكاً طقسياً لأبطال ومعاصري هوميروس دون شك، وهو السلوك الذي يتمثل في تقديم القرابين، وذبح البهائم؛ لإقامة علاقات طيبة مع الآلهة ومن أجل التقرب إليها بسبب طلب ما، أو لاسترضائهم، أو لاستمالتهم، أو للسيطرة على غضبهم، أو لشكرهم، وهكذا تعددت أغراض تقديم القرابين للآلهة، ولكن ما موقف الفلاسفة من اعتقاد هوميروس عن الألوهية؟

• موقف الفلاسفة من النزعة الأسطورية الثيولوجية عند هوميروس:

كانت الصورة الإنسانية للآلهة التي رسمها هوميروس سلاحاً ذا حدين؛ فهي من ناحية قد أسهمت في التقليل من قدسية الآلهة وشيوع الروح اللادينية بين اليونانيين، وهذا ساهم بفاعلية في نشأة الحركة العلمية التي ازدهرت في القرن السادس قبل الميلاد، ومن ناحية أخرى جعلت الفلاسفة ذوي الميول الدينية -التأليهية يوجهون سهام النقد الجارحة لهوميروس^(٤٧)، ومن أهم هؤلاء الفلاسفة إكسينوفانيس Xenophanes (٥٦٠-٤٧٨ ق.م)، وهيراقليطس Heraclitus (٥٣٥-٤٧٠ ق.م)، وسقراط Socrates (٤٧٠-٣٩٩ ق.م)، وأفلاطون Plato (٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م).

وقد كتب إكسينوفانيس أهم قصائده في نقد المعتقدات الدينية الشائعة في عصره، وكان هوميروس أول من تلقى هذه الانتقادات^(٤٨)؛ إذ رفض إكسينوفانيس تلك الصورة الهزلية التي صوّرت الآلهة كالبشر الفانين الذين يمارسون كل الشرور، وقد عاب أيضاً على كل من يؤمنون بهذه النزعة الأسطورية الثيولوجية التي تصورها هوميروس^(٤٩)، ويقول إكسينوفانيس: "لقد نَسَب كل من هوميروس وهزيود إلى الآلهة كل ما هو مخجل وعار بين

(٤٦) الشيخ الحكيم، وصاحب النصح الدائم للمحاربين في الإلياذة والأوديسة.

(٤٧) انظر: هوميروس: الأوديسة، الأثوذة الثالثة، ص ١١.

(٤٨) مصطفى النشار: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط ١، ١٩٩٧، ص ٣٣.

(٤٩) مصطفى النشار: مدخل إلى فلسفة الدين، دار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٦، ص ٦٠.

(٤٩) المرجع نفسه: ص ٦١.

البشر من سرقة، وزنا، وخداع بعضهم البعض"^(٥٠)، ويقول في شذرة أخرى: "إله واحد أعظم بين الآلهة والناس، وليس مُشابهاً للبشر بأي حال من الأحوال سواء في الجسد أو في الفكر"^(٥١)، وهكذا رفض إكسينوفانيس اعتقاد هوميروس عن الألوهية.

وقد انتقد هيراقليطس أيضاً - شأنه شأن إكسينوفانيس - النزعة الأسطورية الثيولوجية التي اعتقدها هوميروس؛ ففي رأيه أن الطقوس والقرابين ليست هي التي تجعل الناس فضلاء، فهذه الممارسات الشعائرية تتسم بالطابع السطحي والبدائي^(٥٢)، كما رفض فكرة تجسيد الإله؛ لأن الإله أفضل وأرقى بقدر كبير من البشر، ولعل هيراقليطس كان متأثراً هنا بإكسينوفانيس؛ لأنه يثور ضد طرق العبادات التي تُسيء فهم جوهر الألوهية، وتتسبب إليهم صوراً بشرية^(٥٣).

أما سقراط فقد كان لنزعتة العقلية أكبر الأثر فيما يتعلق بموقفه من الدين الهومييري، فقد رفض سقراط الخضوع للعقائد العُرفية، والعقائد الدينية التي ترتكن إلى الأساطير، وكانت له مواقفه التنويرية فيما يتعلق بالآلهة وأساطيرهم؛ إذ أنكر سقراط وجود الآلهة اليونانية القديمة، وبعد تفكير طويل توصل إلى أن الإله لا بُدَّ أن يكون هو الحكيم الأوحد المنزه عن الخطأ، وأن العقيدة الدينية لا بُدَّ أن تتبع من العقل والقلب معاً^(٥٤).

ويلاحظ في المحاورات الأفلاطونية نقداً لاذعاً قَدَّمه أفلاطون في محاوره الجمهورية لاعتقاد الألوهية عند هوميروس، ورفض تلك الصورة البشرية التي صورتها أشعاره، فقال أفلاطون: "لا ينبغي أن نقول أبداً أن الآلهة تشن الحرب على الآلهة، وأنها تتصب الفخاخ، وتحيك المؤامرات بعضها لبعض، فتلك قصص كاذبة يجب ألا تُقال لحراس المستقبل،...، وإن الآلهة قد أطلقت لنفسها العنان في كل المعارك التي صورها خيال هوميروس؛ وذلك ما لا ينبغي أن نسمح به في جمهوريتنا، سواء أكان المفروض أن لهذه القصص معنى أسطورياً أم لم يكن؛ لأن الطفل لا يستطيع أن يُميز الأسطوري من الواقعي، ولا شك أن كل ما يتلقاه ذهنه

(50) G.S. Kirk & J.E. Raven: The pre-Socratic philosopher, Cambridge University press, 1962, Frag (169), p. 168.

(51) Ibid: Frag (173), p. 169.

(52) برتراندرسل: حكمة الغرب، ج ١، ترجمة: د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣، ص ٤٢٥.

(53) علي حسين قاسم: جدلية العلاقة بين الدين والأسطورة" دراسة تحليل لمفهوم الأسطورة في فلسفة الدين، ص ٥٥٥، ص ٥٦٥.

(54) المرجع نفسه: ص ٥٧٥.

في هذا السن ينطبع فيه بعمق لا تمحوه الأيام؛ ولذا كان من أعظم الأمور أهمية أن تكون أولى القصص التي تطرق أسماع الأطفال أمثلة سامية لأفكار فاضلة^(٥٥)، وهكذا رفض أفلاطون اعتقاد هوميروس عن أنسنة الآلهة؛ إذ إنها تُسيء للآلهة، ولا تُشير إلى فضائلهم؛ ولذلك طرد أفلاطون هؤلاء الشعراء الهوميريين من مدينته الفاضلة.

هذه إذاً الصورة العامة لاعتقاد هوميروس عن الألوهية في الإلياذة والأوديسة، حيث خلع عليها صفات وأفعال البشر، واعتقاده هذا تلقاه عموم الإغريق في عصره بالتقديس والتبجيل، ولاقى الاعتقاد نفسه نقدًا لاذعًا عند الفلاسفة اللاحقين عليه.

ثانياً - القضاء والقدر:

اعتقد هوميروس أن هناك قوة عليا مُسيطرة على الآلهة والبشر، وعلى كل من في السماوات والأرض وهي التي ترسم كل شيء، ويجري كل شيء وفق ما رُسم، وأنه لا يدُ لمخلوقٍ ولا لإلهٍ على نقض ما أَراده، أو تغيير ما قضى به، وهذه القوة العُليا تُسمى القدر (μοίρα)^(٥٦)، وهو مصطلح في اللغة اليونانية القديمة ويعني في الاشتقاق Share أو Portion جزء أو مشاركة^(٥٧)، وعلى الرغم من أن نطاق تطبيقه قد اتسع ليشمل الطريقة المناسبة التي يتم بها توزيع شيء ما، وكيف يجب على الإنسان أن يتحدّث ويتصرف، كما أنه يُعبّر أيضًا عن المشاركة المناسبة، أو الطريقة المناسبة لكل فرد في أحداث الحياة، فيحدد موقع كل فرد في العالم وفي المجتمع، وذلك في سياق النظام الكوني^(٥٨).

(٥٥) أفلاطون: محاوراة الجمهورية، دراسة وترجمة: د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥، ك٢، ف ٣٧٨، ص٤١٦.

(٥٦) علي عبد الواحد وافي: الأدب اليوناني القديم ودلالاته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، ص١٢. وأيضًا: -Arthurl Keith: Fate and Freedom as viewed by Homer, An essay in southern Illinois University, 1928, p. 16.

(٥٧) Mingui Sui: The Concept of fate in Homeric's epic "An interdisciplinary perspective", An essay in the 2023 5th in international conference on literature Art and Human development, Hangzhou Normal University, China, 2023, p.113.

(٥٨) E. Sarischoulis: Fate, Divine Will and Narrative concept in the Homeric Epics, An essay in open edition Journal, December, Vol. (10), 2016, p. 84.

وقد جعل هوميروس القدر هو السلطة الحاكمة التي يجب على الآلهة أن تتحني لها، فزيوس نفسه كان خاضعاً للمويرا^(٥٩)، فعلى الرغم من أن زيوس يفتخر بقوته وأنه يتفوق على جميع الآلهة بلا منازع، إلا أنه يُصوّر لنا أن هناك قوةً عُليا يخضع لها الجميع وعلى رأسهم زيوس، وهذه القوة هي القدر؛ فكان زيوس يخضع لقرارات القدر مثله مثل أكثر البشر تواضعاً^(٦٠)؛ فالقدر أقوى من كل الآلهة والبشر مجتمعين^(٦١)، وزيوس في الإلياذة غير قادر على وضع نهاية للمبارزة بين البطلين هيكتور وأخيلوس، ويسأل القدر لتحقيق ذلك، ويلقي الفرعة بين البطلين في كفتي الميزان الذهبي، وتتحرك كفه موت هيكتور نحو الأسفل، ويجد زيوس بكل قوته الإلهية- نفسه عاجزاً عن مَدِّ يد العون لمحبيه، وهكذا يموت هيكتور بطعنة من رمح أخيلوس رغماً عن إرادة زيوس، وتماشياً مع إرادة القدر^(٦٢)، وقال زيوس في أثناء المبارزة بين البطلين:

"أيتها الآلهة، أعملوا فكركم وتدبروا، وقولوا لي

ما إذا كنا سننقذه (هيكتور) من الموت أم أننا سنتركه يموت

على يدي أخيلوس بن بيليوس على الرغم من أنه إنسان عظيم،

فأجابته الإلهة أثينا: "يا أبت، يا إله الصواعق، يارب السحب السوداء الثقيل،

أتقول ذلك على رجلٍ فانٍ، مُقدّر عليه الموت منذ أمد طويل؟

أتريد أن تخلصه من مصير قدر الموت المفجع؟

فلتقل إذاً، ولكن لن يوافقك على ذلك أيُّ منا نحن الآلهة الآخرين"^(٦٣).

وهكذا رأى هوميروس أن القدر أقوى من كل الآلهة والبشر، وأن الجميع يخضع

له؛ فهو العنصر الغلاب، وهذا أيضاً ما يصوره في حديث الإلهة هيرا مع النبل

(59) James Duffy: Homer's Conception of Fate, An essay in the classical Journal No.8, Vol (42) May, 1947, p. 447. See also: Naoko Yamagata: Homeric Morality, An thesis submitted to the University of London for the degree of Doctor of philosophy, University College London, April, 1990, p.165.

(60) New Larousse Encyclopedia of Mythology, p. 107.

(61) Susanna Braund, Glenn W. Most: Ancient Anger Perspectives from Homer to Galen, Cambridge University press, New york, 2003, p. 57.

(٦٣) أ.أ. نيهارت: الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة: د. هاشم حمادي، الأهلبي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٤، ص٦٠.

(٦٢) هوميروس: الإلياذة، ك٢٢، ترجمة: د. عادل النحاس، ف١٧٥، ف١٨٠، ف١٨٥، ص٧١٢.

أخيليوس؛ إذ قالت هيرا:

" أي أخيليوس الجبار أحمًا سنحميك اليوم، ولكن يوم القدر المحتوم قريب منك، ولن نكون نحن السبب؛ بل سيأتي إليه قوى وقدر (مويرا) غلاب" (٦٤).

ويشير القدر عند هوميروس إلى فكرة احترام النظام الكوني، وأن أي انتهاكات لهذا النظام حتمًا سيكون هناك عواقب سلبية؛ وذلك من أجل التوازن المتأصل بين الطبيعة والمجتمع البشري؛ فاحترام القدر والمصير يعني المطالبة بالحفاظ على التوازن في العالم وفي الحياة وفي المجتمع البشري، كما أنه يُعدُّ رد فعل حتميًا على جميع الأفعال البشرية التي تنتهك الحدود المقررة (٦٥)، وهذا ما يصوره لنا هوميروس في الإلياذة؛ إذ يجب أن تحترم الآلهة النظام الكوني وتقسيماته التي حددها لهم القدر، ولا يتعدى أحد منهم على هذا التوازن المتأصل في الكون.

ويظهر ذلك في حديث الإلهة إيريس Eris (ربة النزاع والشقاق) مع الإله بوسايدون حين حملت الإلهة إيريس رسالة من زيوس بأن يكف بوسايدون عن المشاركة في القتال والحرب، وإذا لم يُنفذ بوسايدون أوامر زيوس فسَيُقتضى عليه، وهذه الرسالة أغضبت بوسايدون؛ بسبب محاولة زيوس انتهاك تقسيمات القدر وتجاوزها، فلا بُدَّ من أن يلتزم كل واحدٍ من الآلهة بما حدده له القدر من ممتلكاتٍ، ولا يتعدى على غيره، وذلك كله من أجل التوازن بين الطبيعة والمجتمع البشري؛ إذ إنَّ مشاركة بوسايدون في القتال من عدمها ليس من اختصاص زيوس؛ فالأرض مشاعٌ للجميع وليس من سلطات زيوس أن يتدخل في توازنات القدر (٦٦)، وقد تحدّث بوسايدون إلى إيريس قائلاً:

" نحن إخوة ثلاثة أنجبنا كرونوس وريا:

زيوس، ثم أنا، وثالثنا هاديس، وهو ملك الأموات من تحتنا.

فُسمت بيننا نحن الثلاثة كافة الأشياء، وتعيّن لكل منا نصيبه،

وعندما ضربت القرعة كان البحر الرمادي نصيبي؛

(٦٤) هوميروس: الإلياذة، ك ١٩، ترجمة: د. أحمد عثمان، ف ٤١٠، ص ٦٥٥.

(٦٥) E. Sarischoulis: Op. Cit. p. 92

(٦٦) هوميروس: الإلياذة، ك ١٥، ترجمة: د. السيد عبد السلام البداوي، ف ١٨٥، ف ١٨٠، ف ١٩٠، ص ٥١٨.

ليصير مسكني إلى الأبد، وفاز هاديس بالظلام الدامس
في حين كانت السماء الشاسعة وسط الأثير والسحاب لزبوس،
وبقيت الأرض والأوليمبوس الشاهق مشاعًا لنا جميعًا^(٦٧).

وكذلك اعتقد هوميروس أن القدر هو الذي يُمكن أن يتتبا بتسلسل الأحداث على المدى القصير، والمتوسط، والطويل^(٦٨)، كما أنه المسئول عن تحديد مدة حياة الإنسان؛ إذ تكثر الإشارات في الإلياذة إلى أن القدر هو الذي يبعث بالإنسان إلى هاديس، ولا أحد يستطيع أن يتملص من قدره المحتوم نبيلاً كان أم وضيعاً؛ فالموت هو قدر مرسوم للمرء منذ ولادته^(٦٩)، وعلى الرغم من كثرة الإشارات في الإلياذة والأوديسة إلى أن القدر هو الذي يحدد حياة الإنسان^(٧٠) إلا أن هناك دلائل تشير إلى أن الموت يُمكن تسريعه، أو إعاقته بعض الشيء من خلال الفعل الإلهي أو الفعل الإنساني؛ فنقاش زيوس مع هيرا حول إمكانية إنقاذ ابنه الحبيب ساربيدون Sarpedon من الموت عندما ضربه باتروكلوس Patroclus يوضح هذا الافتراض على المستوى الإلهي؛ لأن الهدف من اعتراض هيرا على مثل هذا المسار من العمل ليس لأنه إله لا يستطيع ذلك، ولكنه لا يجوز له أن يتدخل في قوانين القدر؛ لأنه إذا فعل ذلك فإن الآلهة الأخرى ستفعل الشيء نفسه^(٧١).

وكذلك أيضًا نجد على المستوى الإنساني أن الفعل البشري يُمكن أن يُعجل أو يؤخر تحقيق المصير، وهذا ما يظهر من تحذير ثيتيس لأخيلوس من أنه إذا قتل هيكتور، فإنه محكوم عليه بالموت السريع^(٧٢)؛ إذ قالت ثيتيس في تحذيرها لأخيلوس: "إنك يا بني، قُدر عليك الموت الوشيك طالما تتكلم هكذا؛ فموتك آتٍ مباشرة بعد موت

(٦٧) هوميروس: الإلياذة، ك١٥، ف١٩٥، ص١٩٥، ص٥١٨.

(68) E. Sarischoulis: Op. Cit. p.83.

(٦٩) هوميروس: الإلياذة، ك٦، ف٤٩٠، ص٢٨١، ص٢٨٢.

(٧٠) انظر: هوميروس: الإلياذة، ك١٥، ف٥٠، ص٥٣٠. وأيضًا:

- المصدر نفسه: ك١٤، ترجمة: د. السيد عبد السلام البراوي، ف٤٦٥، ص٥٠٥.

- المصدر نفسه: ك١٣، ف٦٧٠، ص٤٧٨.

- المصدر نفسه: ك٨، ف٤٨٠، ص٣٢٩.

- المصدر نفسه: ك١٨، ترجمة: د. السيد عبد السلام البراوي، ف١١٥، ف١٢٠، ص٦١٧.

- هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثالثة، ص١٢١.

(٧١) هوميروس: الإلياذة، ك١٦، ترجمة: د. السيد عبد السلام البراوي، ف٤٣٠، ف٤٦٠، ص٥٦٠، ص٥٦١.

(72) Robert Garland: The Greek way of Death, Cornell University press, New york, 1985, p. 20.

هيكاتور" (٧٣) ، ومن خلال ما سبق يلاحظ أنه على الرغم من وجود أصداء هومييرية كثيرة في الإلياذة والأوديسة مفادها أن موت الإنسان تم تحديده بواسطة القدر إلا أن هوميروس يوضّح أحياناً أنّ هناك مزجاً بين الإرادة الإلهية والفردية من جهة، وبين القدر من جهة أخرى.

وقد انتقل اعتقاد هوميروس عن القدر إلى الفلاسفة اليونان الذين أخذوا به في تفسيراتهم عن الموجودات الطبيعية والأعمال الإنسانية (٧٤)؛ فليست التفسيرات الطبيعية التي تَرُدُّ الكائناتِ إلى صورة ثابتة لا تتغير، كالماء عند طاليس، والهواء عند أناكسيمينس Anaximenes، والنار عند هيراقليطس... إلخ إلا تطبيقاً لفكرة القدر والضرورة التي تخضع لها حياة الآلهة والبشر جميعاً في أشعار هوميروس (٧٥).

ثالثاً - الموت والعالم الآخر:

اعتقد هوميروس أنّ الموت هو انعدام المميزات والخصائص التي تجعل الحياة جديرة بأن نحيها؛ فالإنسان مكوّن من جسد وروح، وعند الموت تترك الروح الجسد وتذهب للعالم الآخر، في حين يبقى الجسد ذلك الجزء المادي القابل للفناء فريسةً لما قد يفعله به الأحياء سواء أكان خيراً أم شراً؛ فبحلول الموت يتلاشى الإنسان بكل حيويته وفطنته وذكائه، ولا يبقى سوى طيفٍ لا حول له ولا قوة (٧٦)؛ فهو أمر لا مفر منه (٧٧)، وهذا ما أفرغ أخيلبيوس أشد الفزع وجعله يصرخ قائلاً: "كلا، يا أوديسيوس Odysseus المجيد لا تحاول أن تُحدِّد لي الموت، فقد كنت أفصّل أن أعيش فوق الأرض وأن أشتغل أحياناً في خدمة رجل آخر مهما كان حقيراً ضئيل الرزق على أن أكون الآن سيّداً على جميع الموتى الذين هلكوا" (٧٨).

وهكذا اعتقد هوميروس أن الموت هو الشر الأعظم؛ فالموت عنده لم يكن رقاداً

(٧٣) هوميروس: الإلياذة، ك ١٨، ف ٩٥، ص ٦١٦.

(٧٤) حربي عباس عطيطو: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، ص ٥٥.

(٧٥) شرف الدين عبد الحميد: المقدمات الهيرمينوطيقية للفلسفة اليونانية، تصدير: د. مجدي السيد كيلاني، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط ١، ٢٠٢٢، ص ١٣٦، ص ١٣٧.

وانظر أيضاً: مصطفى النشار: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، ص ٣٤٤.

(٧٦) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، دار المعارف، القاهرة، ط ١، ١٩٩٣، ص ٩.

(٧٧) هوميروس: الإلياذة، ك ١١، ترجمة: د. منيرة كروان، ف ٤٥٥، ص ٤١٣.

(٧٨) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الحادية عشر، ص ٢٩٦. وأيضاً: باري بي باول: هوميروس، ص ٢٢٩، ص ٢٣٠.

يحفه السلام، وكذلك لم يكن الوجود الأفضل، ولا الأكثر سعادة في العالم الآخر^(٧٩)، فكان الموت أمرًا منبؤًا عند هوميروس، وتكثر الإشارات في الإلياذة والأوديسة بوصفه "الموت الأسود"^(٨٠)، أو "الموت المشئوم"^(٨١)، أو "الموت الكريه"^(٨٢)، أو "الموت المظلم"^(٨٣)، أو "الموت الذي يفتك بالأرواح"^(٨٤)، أو "الموت المفجع"^(٨٥).

ويصور هوميروس الموت أيضًا بأنه فقدان الأعصاب التي تربط اللحم بالعظم، فهو المصير الأكثر تعاسة الذي يُمكن أن يواجهه الإنسان، ويظهر ذلك في حديث والدة أوديسيوس عندما ذهب إليها أوديسيوس في هاديس (العالم الآخر) Hades وتحدثت مع روح والدته؛ فقالت له:

"ويل لي يا بني، يا أكثر البشر تعاسة وسوء حظ، إن بيرسيفوني (زوجة هاديس) Persephone ابنة زيوس لا تخذعك بحال من الأحوال، ولكن هذه هي الطريقة المتبعة مع البشر عندما يموتون، فما عادت الأعصاب تربط اللحم بالعظم"^(٨٦).

ولكن هذا النفور من الموت وعالمه عند هوميروس لا يؤدي بالضرورة إلى الجبن وتجنب ملاقاته الموت بأية وسيلة، وعلى العكس من ذلك فإن هوميروس يُمدد الشجاعة في القتال ويُعلي من شأن الموت في ساحة الوغى، وما دام الموت هو النهاية المحققة والحتمية، سواء للمتقاعس الذي لا يعمل شيئًا أم للبطل المقدم الذي ينجز الكثير، فمن الخير أن يموت الإنسان بطلاً على أن تُلصق به صفة الجبن والتخاذل حتى في موته^(٨٧). وقد أشار هوميروس في العديد من المناسبات إلى أنه يجب احترام احتياجات

(٧٩) جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤، ص٤٣.

(٨٠) هوميروس: الإلياذة، ك٧، ترجمة: د. منيرة كروان، ف ٢٥٥، ص٢٩٧. وأيضًا: المصدر نفسه: ك١١، ف٤٤٥، ص٤١٣. وأيضًا: المصدر نفسه: ك١١، ف٣٦٠، ص٤٠٩. وأيضًا: المصدر نفسه: ك٥، ترجمة: د. أحمد عثمان، ف ٦٥٥، ص٢٥٣.

(٨١) هوميروس: الإلياذة، ك٥، ف ٥٥٥، ص ٢٥٠.

(٨٢) المصدر نفسه: ك٥، ف ٥٠، ص٢٣٢.

(٨٣) المصدر نفسه: ك٥، ف ٨٥، ص٢٣٣.

(٨٤) المصدر نفسه: ك١٣، ف ٥٤٥، ص٤٧٤.

(٨٥) المصدر نفسه: ك٦، ف ٢٠، ص٢٦٥.

(٨٦) هوميروس: الأوديسة، الأنتشودة الحادية عشر، ص٢٨٧.

(٨٧) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص٩. وانظر أيضًا: جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ص٣٤.

الموت، ومنها الدفن اللائق^(٨٨)؛ إذ إن الدفن حسب المعتقد الإغريقي الهوميري هو وضع الأمور في نصابها الصحيح، فهو عملية ضرورية لضمان وصول الروح للعالم الآخر، فإذا لم تُدْفَن جُثَّة الميت ظلَّت رُوحُهُ حائِرَةً بين عالمَي الأحياء والموتى، ولا يقبلها الأحياء في عالمهم؛ فلم يعد صاحبها ينتمي إليهم، ولا يقبلها الموتى كذلك في مملكتهم؛ لأن صاحبها لم يدخل في زميرتهم بعد^(٨٩).

ويلاحظ أن عملية الدفن عند هوميروس هي البداية التي تعبر منها الروح للعالم الآخر؛ لتستقر في مملكة الموتى، فعندما يسقط بطلٌ من المحاربين فإنَّ رُوحَهُ تظلُّ حائِرَةً، ولا يُمكنها أن تجتاز بوابات هاديس دون أن تتَّ لها شعائر جنازية مُعينة، ثمَّ تتم عملية الدفن، وهذا ما يَظْهَرُ في الكتاب التاسع عشر من الإلياذة في حديث أوديسيوس إلى أخيلوس؛ إذ قال: "لكن من اللائق أن ندفن موتانا ونبكي عليهم يوماً، ثم نقوي قلوبنا بعد ذلك"^(٩٠).

إنَّ الدفن في المعتقد الهوميري من أهم حقوق الموتى؛ فهو حقٌّ مُقدَّسٌ كَفَلَّتْهُ لهم الآلهة، وأكَّدَتْهُ التقاليد والأعراف؛ لذلك عُدَّ منعُهم من هذا الحق عملاً بربرياً وعدواناً على الناموس الطبيعي^(٩١)، فالدفن تتويج لحياة الإنسان كما أنه ضمان لاستقرار الروح في العالم الآخر^(٩٢)، فحينما قتل باتروكلوس ساربيدون أمر زيوس فوبوس (إله الخوف) phobos بأن يأخذ جُثَّة ساربيدون الميت ويطهره من الدماء، ويعطره بالعطر الإلهي، ويرسله على عجل إلى أرض ليكيا؛ ليقيم أقاربه وأصدقائه جنازة تكريماً له وتمهيداً لدفنه^(٩٣).

وقد أشار هوميروس إلى الطقوس الجنازية وأهميتها^(٩٤)؛ إذ تم تخصيص سبعة عشر يوماً لجنازة أخيلوس، وتسعة أيام لجنازة هيكتور، ويومين لباتروكلوس، ويبدو أن

(88) Robert Garland: Op. Cit. p.1.

(٨٩) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص ٩٠. وانظر أيضاً: جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ص ٢٨.

(٩٠) هوميروس: الإلياذة، ك ١٩، ف ٢٣٠، ص ٦٤٨.

(٩١) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص ٢٨.

(٩٢) المرجع نفسه: ص ٣٠.

(٩٣) هوميروس: الإلياذة، ك ١٦، ف ٦٧٠، ف ٦٧٥، ص ٥٧٠.

(٩٤) انظر: المصدر نفسه: ك ٢٣، ترجمة: د. عادل النحاس، ف ١٦٥، ص ٧٣٥، ٧٣٦. وأيضاً: هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثالثة، ص ١٢٤. وأيضاً: المصدر نفسه: الأنشودة الثانية، ص ١٠٢.

مدتها تتحدد إما من خلال المكانة الاجتماعية للمتوفى، وإما من خلال الحُزن الذي يشعر به الناجون^(٩٥)، كما دعا هوميروس إلى احترام حُرمة الموتى؛ فكم من مرة توقفت الحروب، وسكنت أصوات القتال كي يتمكن الطرفان المتحاربان من دفن موتاهم، وهذا يظهر في المشهد الختامي في الكتاب الرابع والعشرين من الإلياذة؛ فعندما قتل أخيلوس هيكتور، أراد برياموس Priamus (والد هيكتور) أن يُقيم له مراسم الدفن، فأوقف أخيلوس القتال من أجل إتمام مراسم الدفن والوليمة الجنائزية التي طلبها برياموس^(٩٦).

وقد قدّم هوميروس تصورًا للعالم الآخر (هاديس) وحكى قصة خَلقِهِ؛ ففي الإلياذة يحكي بوسايدون قصة خلق الكون، حيث قُسمت الأشياء بين الإخوة الثلاثة: زيوس، وبوسايدون، وهاديس؛ فكان الظلام الدامس من نصيب هاديس (إله العالم السفلي)^(٩٧)، وهو مكان يحيا فيه الموتى حياة الأطياف، وهم يشبهون في شكلهم العام ما كانوا عليه قبل الموت، بل إنهم يلبسون الملابس نفسها التي اعتادوا لبسها في أثناء حياتهم، ولكنهم مجرد أطياف وأشباح فاترة لتلك القوة التي كانت تسري في عروقهم قبل الموت، وهو شكل من أشكال الوجود يناقض تمامًا ما كان عليه المحاربون الآخيون الذين صورهم هوميروس في ملاحمه^(٩٨)، وفي ذلك قال أخيلوس: "في مقر هاديس توجد أرواح وأشباح، لكنها عديمة الإدراك،...."^(٩٩).

وفي الأوديسة يعتقد هوميروس أن الأرواح يُمكنها أن تتحدث في بيت هاديس تحت أعماق الأرض؛ إذ إنَّ شبح أجامنون وهو في عالم الموتى امتدح بينيلوبي Penelope (زوجة البطل أوديسيوس) وصرح بوفاتها^(١٠٠)، وكذلك ذهب أوديسيوس إلى هاديس لمقابلة بيرسيفوني (زوجة رب الجحيم هاديس) بحثًا عن روح العرّاف تيرسياس Teiresias؛ لأخذ مشورته، فقد منحته بيرسيفوني سداد الرأي حتى بعد موته^(١٠١).

(95) Robert Garland: Op. Cit. p. 19.

(٩٦) هوميروس: الإلياذة، ك ٢٤، ترجمة: د. عادل النحاس، ف ٦٦٠، ف ٦٦٥، ف ٦٧٠، ص ٧٩.

(٩٧) المصدر نفسه: ك ١٥، ص ٥١٨. وأيضًا:

-Clifford H. Moore: Op. Cit. p. 19.

(٩٨) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص ٥٨.

(٩٩) هوميروس: الإلياذة، ك ٢٣، ف ١٠٥، ص ٧٣٣.

(١٠٠) هوميروس: الأوديسة، الأناشود الثانية والعشرون، ص ٥٧٠، ص ٥٧١.

(١٠١) المصدر نفسه: الأناشود العاشرة، ص ٢٧٣.

وقد وصف هوميروس العالم الآخر بالظلام الدامس؛ ففي حديث أوديسيوس إلى روح رفيقه إليينور Elbinore في هاديس، قال: "كيف جئت تحت جناح الظلام الدامس يا إليينور؟"^(١٠٢)، والسمة الثانية للعالم الآخر عند هوميروس هي الكآبة، وعندما التقى أوديسيوس بروح العرّاف تيرسياس كانت أولى الكلمات التي خاطبه بها العرّاف هي "ما خطبك الآن أيها الرجل التعيس؟ لماذا تركت ضوء الشمس وقدمت إلى هنا لتزى الموت، ومنطقة لا مرح فيها،...."^(١٠٣).

وهكذا وصف هوميروس هاديس بأنه مكان كئيب مظلم لا يَسُرُّ القلب أو العين، ولا يعرف المرح أو السعادة إليه طريقًا، كما أنه يقع في مكانٍ بعيدٍ في أعماق الأرض، وأن هناك الكثير من الصعاب والعقبات التي تجعل من المستحيل على غير الموتى أن يصلوا إليه؛ بل إن الموتى أنفسهم لا يصلون إليه إلا بشق الأنفس^(١٠٤).

وينقسم العالم الآخر عند هوميروس إلى قسمين: القسم الأول يُعاقب فيه أولئك الذين ارتكبوا جرائم في حق الآلهة مثل تانتالوس Tantalus، ويسيوفوس Sisyphus؛ فهم يعانون أشد أنواع العذاب^(١٠٥)، والقسم الثاني مكان يتواجد فيه الأخيار وتكون فيه الحياة أكثر سهولة، وأكثر بهجة^(١٠٦).

ويلاحظ أن هوميروس أكد مرارًا وتكرارًا على أن من يناله العقاب في العالم الآخر هم الذين أخطأوا في حق الآلهة فقط؛ فليس هناك إشارة إلى العامل الأخلاقي في محاسبة الموتى، وهو في هذا يختلف عن التصور المصري القديم الذي جعل العامل الأخلاقي أساسًا لمحكمة الموتى^(١٠٧)، أمّا الذين يخطئون في حق غيرهم من البشر ينالون عقابهم في الحياة الدنيا، وهذا ما يصوره هوميروس في السطور الأولى من الأوديسة على لسان زيوس؛ إذ يؤكد زيوس أن البشر أنفسهم هم المسئولون عما يعانونه من الآلام والمصائر السيئة؛ لأنهم يتجاوزون ما سطرته لهم الأقدار، ويقومون بأعمالٍ شريرةٍ يستحقون أن ينالوا

^(١٠٢) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الحادية عشر، ص ٢٨٢.

^(١٠٣) المصدر نفسه: الأنشودة الحادية عشر، ص ٢٨٣، ص ٢٨٤.

^(١٠٤) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص ٥٨. وانظر أيضًا:

-Robert Garland: Op. Cit. p. 49.

^(١٠٥) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الحادية عشر، ص ٢٩٩.

^(١٠٦) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص ٥٨.

^(١٠٧) المرجع نفسه: ص ٩٣.

عليها العقاب، ويضرب زيوس على ذلك مثلاً بأيجيسثوس الذي قَتَلَ أجاممنون واغتصب زوجته رغم تحذير هيرمس له بألا يقتل أجاممنون ويمتنع عن مغازلة زوجته إلا أنه ضرب بهذا التحذير عرض الحائط؛ ولذلك لقي أيجيسثوس المصير السيئ على يد أوريستيس Orestias، وبهذا يكون قد كَفَّر عن خطاياه ودفع ثمن جريمته^(١٠٨).

وهنا يشير هوميروس إلى تطور في اعتقاداته؛ إذ يرى في الأوديسة أن المسؤولية الأخلاقية تقع على عاتق الفرد بعدما كانت في الإلياذة تقع على عاتق الآلهة، وهذا ما يتضح في الإلياذة من خلال حديث برياموس إلى هيلين؛ إذ قال:

"تقدمي يا صغيرتي الحبيبة، واجلسي هنا أمامي حتى

إنه لا لوم عليك في نظري، وإنما يقع اللوم في رأيي على الآلهة؛

فهم الذين أثاروا الآخيين للحرب الرهيبة"^(١٠٩).

ومن خلال النص السابق يوضح هوميروس -على لسان برياموس - أن هيلين ليست عليها أي مسؤولية في هذه الحرب الشنعاء، وإنما المسؤولية تقع على عاتق الآلهة، وهكذا رأى هوميروس في الإلياذة أن المسؤولية البشرية والأخلاقية تقع على عاتق الآلهة؛ فالفعل الإلهي في الإلياذة هو الذي يُشكِّل أسباب تطور قصة الملحمة، أما في الأوديسة فيلاحظ أن أسباب تطور قصة الملحمة تكمن في الفعل البشري؛ أي إن الدوافع البشرية هي التي تُشكِّل أساسها، وهذا تطور مهم في اعتقاد هوميروس حول مسؤولية الفعل الإنساني.

كما يشير هوميروس إلى وجود قضاة تُحاكم الموتى في العالم الآخر من بينهم مينوس Minos^(١١٠)؛ إذ قال أوديسيوس أنه رأى في هاديس مينوس المحيد (ابن زيوس) مُمسكاً بالصولجان الذهبي في يده، ويحكم بين الموتى وهو جالس في مقعده بينما الموتى قياماً وقعوداً يطلبون منه الحُكم^(١١١)، وهذه الصورة تذكرنا بصورة أوزيريس في الديانة

(١٠٨) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الأولى، ص٧٦.

(١٠٩) هوميروس: الإلياذة، ك٣، ف١٦٥، ص١٩٤. وهناك إشارات كثيرة لهوميروس في الإلياذة توضح أن مسؤولية الفعل الإنساني تقع على عاتق الآلهة. انظر: هوميروس: الإلياذة، ك١٩، ف٩٠، ف٩٥، ص٦٤٣.

(١١٠) W.E. Gladstone: Studies on Homer and Homeric Age, Oxford University press, Vol (1) of (3), 2014, p. 168.

(١١١) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الحادية عشر، ص٢٩٨.

المصرية القديمة وهو جالس في قاعته يحاكم الموتى، ويحدد لهم مصائرهم بعد الموت^(١١٢).

رابعاً - المرأة:

أدت المرأة دوراً مهماً في ملحمتي الإلياذة والأوديسة، وقد تباينت اعتقادات هوميروس عن المرأة في الملحمتين؛ إذ تصور المرأة في الإلياذة في صورة مُتدنية؛ لأنَّ عالم الإلياذة الهوميري هو عالم كارّة للنساء^(١١٣)، حيث أعطى للمرأة صفة الشنيئة، وهذا ما يظهر من خلال غضب أخيلئوس عندما حصل أجامنون على فتاته "المرأة بريستئيس"، فغضب أخيلئوس ليس بسبب خسارته للمرأة التي يحبها، بل لخسارة قطعة من ممتلكاته؛ إذ إنها ذات قيمة وخدمة كبيرة؛ فهي عبد وشيء، وليس محبوبته^(١١٤).

كما صوّر هوميروس المرأة في الإلياذة بأنها مكافأة في الحرب؛ إذ أسدى نيستور نُصحه إلى أجامنون بأن يعيد إلى أخيلئوس فتاته بريستئيس؛ من أجل عودة أخيلئوس إلى القتال مرة أخرى، ولكن أجامنون رفض وعرض عليه عددًا من النساء كهدايا تُقدّم لأخيلئوس؛ لإقناعه بالعودة للقتال؛ فقال أجامنون:

"سوف أمنحه سبعة نساء ماهرات لا نظير

لهن جلبتهن من ليسيوس، جميلة المباني،

وكنت قد اخترتهن لجمالهن الفائق، وسوف أقدمهن له (أي لأخيلئوس)

بالإضافة إلى الفتاة التي أخذتها منه

ابنة بريسيوس (بريستئيس)،.....،

وسوف أدعه يختار لنفسه عشرين امرأة من

الطرواديات من بين أجمل النساء بعد هيلين الأرجية"^(١١٥).

وفي موضع آخر يصوّر هوميروس المرأة كهدية فراش للمقاتل الشرس، ويظهر

^(١١٢) منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، ص ٩٣.

^(١١٣) Audrey Wen: Penelope, Queen of Ithaca "A study of Female power and worth in the Homeric Society", Magister thesis in department of Archaeology and Ancient History, University of Uppsala, 2009, p. 13.

^(١١٤) F.A.Wright: Feminism in Greek Literature "From Homer to Aristotle", George Routledge & Sons, LTD, London, 1923, p. 13.

^(١١٥) هوميروس: الإلياذة، ك ٩، ف ١٣٠، ف ١٣٥، ف ١٤٠، ص ٣٤٢.

ذلك في حديث أجامنون؛ إذ قال:

أيها الحبيب إلى قلبي تيوكروس بن تيلامون (قائد من قادة الأرجيين) قائد

الشعوب

واصل إطلاق سهامك هكذا حتى يكون ثمة بارقة أمل للدانائيين،.....،

فإذا ما مكنتي زيوس وأثينا من تدمير مدينة إليون متينة البنيان؛

فسوف أضع جائزة الشرف بين يديك،

التي قد تكون معقدًا ثلاثيًا أو زوجًا من الجياد ومعها عربية،

أو امرأة تشاركك فراشك^(١١٦).

ويستمر هوميروس في تصويره لدونية المرأة في الإلياذة؛ إذ إن ألكسندروس (شبيهه الآلهة الطروادي) ومينيلأوس (الآخي) سيتبارزان أمام الطرواديين والآخيين جميعًا، ومن يفوز بالمبارزة سيأخذ هيلين وما تملكه هدية له^(١١٧)، كما صوّر هوميروس المرأة في الإلياذة بأنها أنموذجًا للفجور، والفسق، والخيانة؛ فهيلين ذات الجمال النادر، والحسب والنسب، وزوجة الملك مينيلأوس أبرز ملوك الإغريق قد أحبّت باريس Paris الطروادي، وخانت زوجها وغادرت بلادها، وجرّ فعلها هذا الولايات للإغريق والطرواديين^(١١٨)، ورغم هذه الصورة المتدنية للمرأة في الإلياذة إلا أن هوميروس أشار إلى أندروماخي Andromache زوجة هيكتور باعتبارها أنموذجًا للوفاء، وللمحبة المخلصة لزوجها، ولكن الصورة العامة عن المرأة التي سادت الإلياذة، وكثرت الإشارات إليها هي الصورة المتدنية الشنيئة التي تُقلل دائمًا من شأن المرأة^(١١٩).

وقد انتقلت هذه الصورة المتدنية للمرأة في الإلياذة إلى عددٍ من الفلاسفة اليونان؛ إذ إن تصور هوميروس عن دونية المرأة لا يختلف كثيرًا عما ذهب إليه أفلاطون وأرسطو؛ فنجد مثالية أفلاطون تكمن بداخلها ضعف عقيدته النسائية؛ إذ صور أفلاطون المرأة في محاورة الجمهورية بصورة متدنية، فهي عنده مشاع للجميع، ولا تُقيم تحت سقف رجلٍ واحدٍ

(١١٦) هوميروس: الإلياذة، ك٨، ف ٢٨٥، ف ٢٩٠، ص ٣٢٢.

(١١٧) المصدر نفسه: ك٣، ف ٢٥٥، ص ١٩٧.

(١١٨) المصدر نفسه: ك٣، ف ٤٢٠، ف ٤٥٠، ص ٢٠٣، ص ٢٠٤، ص ٢٠٥.

(١١٩) المصدر نفسه: ك٦، ف ٤٠٥، ف ٤٢٥، ص ٢٧٩.

بعينه^(١٢٠)، كما صورها بالشئيئية أيضًا، فيمكن أن تُمنح المرأة كمكافأة وامتنياز للشبان الذين يبذلون بلاءً حسنًا في الحروب وغيرها من المهام، ويمكن زيادة عدد مرات معاشرتهم تبعًا لأداء هؤلاء الشبان في الحروب^(١٢١)، كما تأثر أرسطو أيضًا بتلك الحالة الدونية للمرأة عند هوميروس؛ إذ رأى أرسطو أنّ النساء أقل اعتدالًا وقوة في رغباتهن من الرجال، ولا يلومهن بل ينظر إليهن بالشفقة؛ لأن المرأة عنده هي أضعف من الرجل بطبيعة الحال^(١٢٢)، فهي تقتدر للفضائل الأخلاقية والفكرية المطلوبة^(١٢٣)، وهنا يُمكن القول بأن اعتقاد هوميروس - في الإلياذة - عن دونية المرأة ساد وجهة النظر الأفلاطونية والأرسطية عن المرأة.

ولكن هل تصور هوميروس عن المرأة في الإلياذة يختلف عنه في الأوديسة؟ تعرّض الأوديسة عدد من الشخصيات النسائية، فاعلات رئيسات في الدراما أهمها: كاليبسو^(*) Calypso، وناوسिका^(**) NausiCaa، وبينيلوبي Penelope، ويتضح موقف هوميروس من المرأة في الأوديسة من خلال تصويره لهن؛ إذ صوّر هوميروس كاليبسو (حورية البحر) على أنها مغرية وأنانية، لأنها اتخذت جزيرة لها في البحر لاستخدامها من أجل إشباعها الجنسي^(١٢٤)، وفي أثناء عودة أوديسيوس إلى بلده إيثاكا وصل إلى هذه الجزيرة التي تُسيطر عليها كاليبسو، وأرادت كاليبسو في بداية الأمر أن تمنع أوديسيوس عن زوجته بينيلوبي وابنه تيليامخوس، وتتخذة حبيبا لها بعد أن يبقى على الجزيرة معها، كما أن حورية البحر ستمنحه الخلود إذا وافق وظل معها في هذه الجزيرة^(١٢٥)، ولكن في نهاية الأمر

(١٢٠) أفلاطون: محاوراة الجمهورية، ك٥، ف٤٥٧، ص٤٤٤.

(١٢١) المصدر نفسه: ك٥، ف٤٦٠، ص٤٨٨.

(122) F.A. Wright: Op. Cit. p 122.

وانظر أيضًا: إمام عبد الفتاح إمام: أرسطو والمرأة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ١٩٩٦، ص٨١.

(123) Larry Arnhart: A Sociobiological Defense of Aristotle's sexual politics, An essay in international political science Review, N. (4), Vol. (15), p. 392.

(*) حورية البحر، عاشت على جزيرة في وسط البحر، ووقعت في حُب أوديسيوس في أثناء وصوله لجزيرتها.
(**) ابنة جميلة لألكينوس ملك الفياكيين، وكانت أول من قابلت أوديسيوس بعد أن تحطمت سفينته على الساحل الفياكي. انظر: هوميروس: الأوديسة، ك٥، ص١٨٤، في الهامش.

(124) Amanda Turner: Across the sea's Brood Back "interpreting the Role of Homer's women in Odysseus", Quest for Ithaka, Boston College, 2008, p. 34.

(١٢٥) هوميروس: الأوديسة، الأناشود الخامسة، ص١٦٨، ص١٦٩، ص١٧٠. وأيضًا:

-Karen Anne: Tales for All time "the Role of emotion in modern Reception on Homeric Epic", A thesis submitted for the degree of doctor of Philosophy, the Australian National University, 2021, pp. 46-47.

رفضت أنانيتها، وسيطرت على إغرائها، وسمحت له بمواصلة الرحلة؛ من أجل العودة إلى زوجته وابنه، بل وقامت بإرشاده لتفادي أي خطرٍ قادمٍ سيواجهه؛ فكان لديها المسؤولية عن مصير أوديسيوس، وبدونها لم يكن هناك ضمان للعودة الآمنة أو العودة على الإطلاق^(١٢٦)، كما أن وصف هوميروس لها بالمرأة الحسية لم يتخطَ مرحلة التخيل فقط.

وعندما غادر أوديسيوس جزيرة كاليبسو استقر إلى غابةٍ قريبةٍ من الماء، وأخذ يزحف تحت شجرتين احتمى بهما، وغطى نفسه بالأوراق من العُري، وقد غلبه النعاس^(١٢٧)، وعندما استيقظ دخل وسط جماعة من العذارى مدفوعًا بباحث الحاجة؛ فانكشفت العذارى مذعورات واحدة هنا وأخرى هناك، ولكن ناوسيكًا وقفت ثابتة وشجاعة^(١٢٨)، وأخذته إلى المدينة التي يملكها الفياكييون^(*)(١٢٩)، وهنا يصوّر هوميروس ناوسيكًا بنبت في معية الصّبا، وعلى وشك أن تدخل سن النضج الأنثوي، وعندما يواجهها رجلٌ عارٍ فإنها تتماسك في رزانة ووقار بنت الملوك، وتعمل على أن تغسل له جراحه، وتغطي جسده بالملابس، وتصف له كيف يدخل قصر أبيها، وهي بذلك تتصرف تصرفاً رائعاً فيه الكثير من العفوية، والتلقائية، والكياسة، وهو سلوك يعكس حُسن التربية ونبالة الأصل الملكي^(١٣٠).

وهكذا صور هوميروس في الأوديسة كاليبسو وناوسيكًا كنموذجين للمرأة الفاضلة؛ فقد وضعتا رغباتهن الشخصية من إغواء وأنانية جانبًا، واستخدمتا نفوذهما من أجل منح البطل أوديسيوس العودة الآمنة؛ لذا فهما نموذجان للمرأة الساحرة التي تُسيطر على رغباتها، وتجمع بين الكرم من ناحية والحذر من ناحية أخرى.

أما الصورة الثالثة للمرأة في الأوديسة فيصورها هوميروس في شخصية بينيلوبي؛ إذ جعلها امرأة بشرية لا تتصف بأنها من الساحرات، أو أنها من نسل الآلهة، أو من عالم محمي ومستقر، بل امرأة بشرية ليس لها أي قوى سحرية، وهي تعيش عازية بين

(126) Audrey Wen: Op. Cit. p. 13.

(١٢٧) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الخامسة، ص ١٨٠.

(١٢٨) المصدر نفسه: الأنشودة السادسة، ص ١٨٧، ص ١٨٨.

(*) شعب خرافي يعيش في جزيرة سخيريا، وكان شعبًا كثير الخير، ويعيش في سعادة بعيدًا عن الحروب، واشتهر هؤلاء القوم بالملاحة. انظر: هوميروس: الأوديسة، ص ١٨٣، في الهامش.

(١٢٩) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة السادسة، ص ١٩٠.

(١٣٠) أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًا وعالميًا، ص ٥٦.

الخاطبين^(١٣١)؛ فهي امرأة تعرف كيف تقول لا لكل المغريات والشهوات، وهذا ما يصوره لنا هوميروس في الأنشودة الثامنة عشرة من الأوديسة؛ إذ غاب أوديسيوس زوجها ما يقرب من عشرين عامًا في أثناء عودته إلى وطنه إيثاكا، وفي أثناء غيابه ذهب عدد من الخاطبين والمغازلين إلى منزلها، وقدموا لها عددًا من الهدايا الباهظة الفضفاضة، وسلاسل من الذهب المرصعة، وأزواجًا من الأقراط بها بريق اللؤلؤ، وكل ذلك وغيره من أجل أن يفوزَ بها أحد الخاطبين^(١٣٢)، ولكنها لم تستسلم لإغراء الخاطبين والعلاقات الحميمة معهم، وأشهرت عفتها من أجل الولاء لزوجها^(١٣٣).

وهكذا صوّرت الأوديسة بينيلوبي كنموذج للمرأة العفيفة المُخلصة لبيتها وزوجها وحتى في أثناء عودة أوديسيوس وفي حديثه معها وهي لم تتعرّف عليه قالت له: "أيها الغريب، إن بهائي كله، سواء في الجمال أم في القد قد حطمه الخالدون في اليوم الذي أبحر فيه الأرجوسيون إلى إليون، وصحبهم زوجي أوديسيوس؛ فلو أنه أتى فقط وأشرف على حياتي هذه لغدا صيتي أعظم وأعطر، ولكنني الآن مهمومة الفؤاد،... وكل هؤلاء يغازلونني على كره مني ومضض، ويخربون بيتي؛ ولذلك فإنني لا أعير أيّ اهتمام لأيّ غريب، بل أذيب قلبي دون جدوى من فرط شوقي إلى أوديسيوس، ومن ثم فإنّ أولئك الرجال يلحّون في طلب الزواج مني، وإنني أروغهم وأدبر لهم شتى الحيل"^(١٣٤).

وكان بوسع هوميروس أيضًا أن يكتفي بتصوير بينيلوبي في الأوديسة بالمرأة الوفية المخلصة، ولكنه أعطاهما سمات أخرى؛ فهي نموذج للمرأة الذكية الماهرة في الخداع استطاعت أن تخدع جميع الرجال الخاطبين؛ إذ اقترحت عليهم مسابقة في الرماية، وافترضت أنها ستتزوج أفضلهم في هذه المسابقة من أجل تدبير خديعة للتخلص منهم^(١٣٥)، وفي أثناء ذلك أتى أوديسيوس وقتل جميع الخاطبين^(١٣٦).

(131) Audrey Wen: Op. Cit. p. 57.

(132) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثامنة عشر، ص ٤٤٧.

(133) انظر: المصدر نفسه: الأنشودة الثانية والعشرون، ص ٥٧٠.

(134) المصدر نفسه: الأنشودة التاسعة عشر، ص ٤٦١.

(135) Hans Van Wees: The invention of Female mind "property and Gender Ideology in Archaic Greece", An essay in conference of women and property, University College, London, 2005, p.3.

(136) Audrey Wen: Op. Cit. p. 35.

وصورها هوميروس أيضًا كنموذج للمرأة الشجاعة التي لا تُظهر أيَّ ضعفٍ أنثويٍّ في حُبها المستمر^(١٣٧)، فعلى الرغم من أنها تخشى قسوة الخطّاب وسلوكهم البشع ولكنها تثق في نفسها وبيعث حضورها الرهبة لديهم، فهي إذن ليست مجردَ ضحيةٍ أو فريسةً لظروفٍ معينة كما هو الحال في الموروث الملحمي^(١٣٨).

ورغم هذه الصورة الوفية للمرأة التي سادت الأوديسة إلا أن هوميروس أشار في الملحمة نفسها إلى أنموذجٍ مُتدِنٍ للمرأة كليتيمنسترا (Clytemnestra) (زوجة أجامنون)؛ إذ صورها هوميروس بالمرأة المخادعة، والخائنة، وسيئة السمعة^(١٣٩)؛ ففي غياب زوجها اتخذت من ابن عمها أيجيستوس عشيقًا لها، وقد قتل العشيقان أجامنون زوجها، فلم تكن وفية لزوجها بل كانت آثمة خائنة^(١٤٠)، ولكن الصورة العامة عن المرأة التي سادت الأوديسة وكثرت الإشارات إليها هي صورة المرأة الوفية، وبيان مدى إخلاصها وقوة تأثيرها، فهي صورة مُقدِّرةٍ لذاتها.

وبينما تُمثّل هيلين أنموذجًا للفجور والفسق في الإلياذة، نجدها في الأوديسة تظهر كزوجة مخلصه وافية تُقدِّس زوجها الملك مينيلأوس، وتعيش في قصره منشغلة بالواجبات المنزلية^(١٤١)، وعندما تُفكر في الماضي يكون ذلك لتبتهج بعودتها إلى المنزل وهروبها من طروادة، وندمها على تركها لبيتها وزوجها، وهي صورة مختلفة -في الأوديسة- تمامًا عن صورة هيلين عاشقة باريس، وخائنة زوجها في الإلياذة^(١٤٢).

مما سبق يُستنتج أن اعتقاد هوميروس عن المرأة في الإلياذة يختلف عنه في الأوديسة؛ إذ إن الصورة العامة للمرأة في الأوديسة كانت أكثر احترامًا وتقديرًا لما كانت عليه في الإلياذة، ويُمكن القول بأنَّ صورة المرأة في الإلياذة هي صورةٌ مجسدةٌ لفكرة الشرِّ ذاتها، أما في الأوديسة فهي صورةٌ مجسدةٌ لفكرة الخير والوفاء.

(137) F.A. Wright : Op. Cit. p. 10.

(١٣٨) أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًا وعالميًا، ص٥٥.

(139) Audrey Wen: Op. Cit. p. 46. See also: F.A. Wright: Op. Cit. p. 12.

(١٤٠) هوميروس: الأوديسة، الأناشود الثالثة، ص١٢٢، ص١٢٣. وأيضًا: بيير ديفانبيه وآخرون: معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج١، ص٤٨، ص٤٩، ص٤٩٠، مادة (أجامنون).

(١٤١) انظر: هوميروس: الأوديسة، الأناشود الرابعة، ص١٣٦، ص١٣٧. وأيضًا: المصدر نفسه: الأناشود الخامسة عشر، ص٣٦٨.

(142) F.A. Wright: Op. Cit. p. 11.

خامساً - انفعال الغضب:

إنَّ أول كلمة في ملحمة الإلياذة باليونانية هي كلمة "μῆτις" ومعناها "غضب"^(١٤٣)، وكأن هوميروس يقول إن ما يلي هو قصة عن الغضب وما يصنعه بالإنسان؛ فالغضب هو العاطفة السائدة في الإلياذة، وهذا ما يظهر من خلال هذه الملحمة^(١٤٤)؛ إذ قال هوميروس في المشهد الافتتاحي في الإلياذة:

" غنّ لي يا ربة الشعر عن غضبة أخيليوس بن بيليوس المدمرة،
التي أَلحقت بالآخيين مأسٍ تفوق الحصر، ودفعت إلى العالم
الآخر (هاديس) بأرواح الكثير من المقاتلين والبواسل، في حين
جعلت من أجسادهم لُقمة سائغة للكلاب وكل أنواع الجوارح،
وهكذا تحققت مشيئة زيوس. نحن ممن جاءت هذه
الغضبة بادئة من حيث أخذ الشقاق يدب بين أجاممنون
ملك الرجال (ابن أتريوس) وأخيليوس شبيه الآلهة"^(١٤٥).

ويعرض هوميروس السبب الرئيس لغضب أخيليوس منذ مطلع الملحمة، وهو ذلك الخلاف الذي نشب بينه وبين أجاممنون المتعلق بإعادة سبية أجاممنون إلى والدها؛ فرفض أجاممنون إعادة السبية خريستيس إلى والدها، ونهر والدها (كاهن معبد أبوللو) الذي بدوره بثَّ همُّهُ إلى أبوللو ورجاه أن ينتقم من أجاممنون^(١٤٦)؛ فسَلط أبوللو غضبه على اليونانيين، ونشر الطاعون بينهم تسعة أيام بلياليها، ثم تحت ضغط أخيليوس والشيوخ الحكيم نيستور وافق أجاممنون على إعادة السبية بشرط أن يعطيه اليونانيون بديلاً عن هذه السبية ومساوية لها في الجمال، وفي كل شيء^(١٤٧)، وإن لم يفعلوا فإنه سيأخذ سبية أخيليوس ولو بالقوة، وهنا استشاط أخيليوس غضباً ملاً قلبه، وبالفعل أخذ أجاممنون سبية أخيليوس واستولى عليها^(١٤٨).

^(١٤٣) عبد المعطي شعراوي: النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٩٩، ص ١٧.

^(١٤٤) باري بي بول: هوميروس، ص ١٤٢.

^(١٤٥) هوميروس: الإلياذة، ك ١، ف ٥، ص ١١٩.

^(١٤٦) المصدر نفسه: ك ١، ف ١٠، ف ١٥ : ف ٢٠، ص ١١٩، ص ١٢٠. وأيضاً: المصدر نفسه: ك ١، ف ٤٥ : ف ٧٠، ص ١٢١، ص ١٢٢.

^(١٤٧) المصدر نفسه: ك ١، ف ١٢٠، ف ١٢٤.

^(١٤٨) المصدر نفسه: ك ١، ف ٣٢٥ : ف ٣٤٠، ص ١٣٢.

وهنا يوضح هوميروس أن غضب أخيلئوس هو نقطة تحول في الإلياذة؛ إذ إنَّ الغضب الذي تمكَّن من أخيلئوس وملاً قلبه جعله يترك المعركة؛ وهذا الأمر جعل الطرواديين يصبون سهامهم القاتلة على الآخيين، وعلى الرغم من التوسلات الإلهية من الإلهتين أثينا وهيرا بمحاولة كبح جماح الغضب، والعودة إلى المعركة إلا أن هذه المحاولات باءت بالفشل^(١٤٩)، وكذلك التوسلات البشرية؛ إذ ذهب إليه أوديسيوس لإقناعه بالعودة للقتال وإبلاغه بعروض أجاممنون الباهظة، ولكن الغضب ملاً قلب أخيلئوس، وباءت جميع المحاولات بالفشل^(١٥٠).

ومما سبق يصور لنا هوميروس الغضب على أنه أمر مُهين يكسر روح الإنسان، وإذا تمكَّن من الروح، فمن الصعب السيطرة عليه مهما كانت تلك المغريات، فهو انفعال يُسم القلب والروح، كما أكد هوميروس أن كظم الغيظ تجاه الغضب له حدود معينة، فإذا زاد هذا الانفعال عن حده نتج عنه ردودُ أفعالٍ لا يُحمد عقباها؛ فليس من السهل أن يتخلى الإنسان عن جِدَّة غضبه الشديد.

ويعطي لنا هوميروس صورة أخرى للغضب كونه الرغبة في الانتقام، فعندما قتل هيكتور باتروكلوس (صديق أخيلئوس) لم يهدأ غضب أخيلئوس مطلقاً إلا عندما انتقم من هيكتور قاتل صديق روحه، وقال أخيلئوس (عندما سقط هيكتور على التراب وقتله أخيلئوس):

" أي هكتور، عندما كنت تُجرِّد باتروكلوس من أسلحته

حسبت أنك ستظل آمناً ولم تكن تخشاني، ولكنني كنت بعيداً

أيها الأحمق، ولكن بدونه، وهو يرقد الآن عند السفن المجوفة

تركته هناك، وأنا الأقدر على الانتقام"^(١٥١).

ولكن على الرغم من أن هوميروس قد ركز في ملحمة الإلياذة على انفعال الغضب وما يتبعه من انتقام إلا أن تلك الملحمة تضمنت مشاهد مؤثرة للغاية من التعاطف والشفقة؛ فعلى الرغم من سرد هوميروس لغضب أخيلئوس الشديد ضد أجاممنون، ثم ضد هيكتور إلا أنه اختار أن يختم هذه الملحمة الدموية بمشهد من الرحمة

^(١٤٩) هوميروس: الإلياذة، ك٩، ف٢٥٥، ف٢٦٠، ص٣٤٧.

^(١٥٠) المصدر نفسه: ك٩، ف٤٠٤، ف٤١٠، ص٣٥٣.

^(١٥١) المصدر نفسه: ك٩، ف٢٢، ف٣٣٥، ص٧١٨.

والشفقة، والاحترام والتفاهم المتبادل^(١٥٢)، وذلك عن طريق عودة جُثة هيكتور لوالدها وعدم التمثيل بها، وهنا يريد هوميروس أن يوضح أنه إذا غضب المرء غضبًا شديدًا؛ فلا بُدَّ من وضع حدِّ لهذا الغضب، والتصرف برحمة وشفقة، ولكن نهاية القصيدة تُعلمنا كيفية إدارة تلك الانفعالات إلى حد ما على الأقل^(١٥٣).

إنَّ عاطفة الشفقة التي تحدَّث عنها هوميروس كانت دائمًا ضرورية لمواجهة الرغبة في الانتقام التي يثيرها الغضب؛ فانفعال الغضب عنده يزعزع استقرار العلاقات، ولكن مشاعر التسامح مثل الشفقة لديها القدرة على تعافي المرء من غضبه؛ ولذلك اعتقد هوميروس أن عاطفة الشفقة لها دور كبير في احتواء الغضب^(١٥٤)، وأنقُ هنا مع هوميروس؛ إذ إنَّ الغضب انفعال شديد يؤدي أحيانًا إلى فقدان السيطرة على الذات، وهذا فقدان يؤدي بدوره إلى خسائر اجتماعية ومادية وعلائقية، ولكن الإنسان الحقيقي من يمتلك الطريقة السليمة لإدارة الغضب عن طريق استبدال هذا الانفعال بمشاعر اللين، والتسامح، والشفقة قدر المستطاع.

ويستمر مفهوم الغضب كونه الرغبة في الانتقام في ملحمة الأوديسة، ويتمثَّل ذلك في مشهدين؛ المشهد الأول هو الذي يفتح به هوميروس الأناشود الأولى من الأوديسة؛ إذ تدور أحداثها حول غضب بوسايدون من البطل أوديسيوس بسبب أن أوديسيوس أصاب ابنه بوليفيموس Polyphemus بالعمى في عينه، وهذا أدى إلى غضب والده بوسايدون الذي قرر الانتقام من أوديسيوس بتشريده عن وطنه^(١٥٥).

أما المشهد الثاني فيتمثل في غضب أوديسيوس الشديد من الخُطاب الذين غازلوا زوجته، واستقروا في بيته في أثناء غيابه دون خوف من الآلهة، وأهانوه إهانةً شديدةً ومتكررة وهو متنكر في زي متسوّلٍ، وهذا الغضب الشديد أدى في نهاية الأوديسة إلى

(152) Susanna Braund and Glenn W. Most: Op. Cit. p. 51.

(153) Ibid: p. 74.

(154) Karen Anne: Op. Cit. pp. 122-123.

(١٥٥) هوميروس: الأوديسة، الأناشود الأولى، ص٧٨: ص٨٠. وانظر أيضًا: -Sebastian Van der: Poseidon's Anger in the Odyssey, "in Emotion and Narrative in Ancient literature and Beyond", Edited by: Mathieu D. debakker and others, Brill, 2022, p.108.

انتقام أوديسيوس من هؤلاء الخُطَّاب وقتلهم جميعًا^(١٥٦)، وهكذا رأى هوميروس أن الغضب الحاد في حالة احتدامه لا يُمكن إشباعه إلا عن طريق العُنف والانتقام؛ فعلى الرغم من أن عدد الخاطبين يفوق أوديسيوس ومجموعته الصغيرة من أتباعه إلا أن أثينا حثت أوديسيوس على الانتقام والقتال بكل قوة^(١٥٧).

ويرى هوميروس أيضًا أن الغضب من الممكن أن يثير ردود أفعال أكثر تنوعًا بين الأفراد، بما في ذلك الرغبة في إلحاق الألم العاطفي، أو العنف الجسدي، أو التهديد بشيءٍ ما، كما يؤدي الغضب أحيانًا إلى العقاب الصارم من أجل أن يتحول الغضب والحزن إلى مشاعر اللذة والمتعة^(١٥٨)، وهذا ما ذهب إليه هوميروس؛ إذ يُشبهه قتل أوديسيوس للخاطبين بمتعة أسر الفريسة في أثناء الصيد، فهُم أشبهه بالأسماك التي أمسك بها الصيادون في عيون شباكهم في البحر السنجابي^(١٥٩)؛ ولذلك يُمكن القول بأن انفعال الغضب عند هوميروس يحتوي على مشاعر الألم واللذة معًا، تلك اللذة التي يشعر بها المرء من خلال الانتقام من مصدر الألم.

وقد أشار هوميروس إلى أنه مهما كان الغضب مُدمرًا وله آثاره السيئة بالنسبة إلى البشر إلا أن غضب الآلهة يفوق غضب البشر في دماره^(١٦٠)؛ إذ إنَّ أي انتهاك يرتكبه المرء ضد الإله يؤدي إلى غضب الإله، ومن ثمَّ إلى عواقب أكثر بؤسًا لا يُمكن تصورها، وهنا يلاحظ أن ملحمتي هوميروس -الإلياذة والأوديسة- تحملان رسالة مفادها أنه ينبغي للمرء تجنب انفعال الغضب لدى الآلهة عن طريق إثارتها وانتهاك أوامرها؛ فالإنسان الفاني ليس لديه القدرة على مواجهة غضب الآلهة الخالدة، ولكن يُمكن السيطرة على غضب الآلهة بطريقتين هما: تقديم القرابين والترانيم؛ لأنهما مظهران من مظاهر استرضاء الآلهة والتخفيف من غضبها^(١٦١).

ومما سبق يُمكن أن نستنتج أن الموضوع المحوري لمحتي الإلياذة والأوديسة هو

^(١٥٦) انظر: هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الواحد والعشرون: ص ٥٠٤. وأيضًا: المصدر نفسه: الأنشودة الثانية والعشرون، ص ٥٢٤، ص ٥٢٥.

^(١٥٧) Karen Anne: Op. Cit. p. 96.

^(١٥٨) Ibid: p.79.

^(١٥٩) هوميروس: الأوديسة، الأنشودة الثانية والعشرون، ص ٥٣٩.

^(١٦٠) هوميروس: الإلياذة، ك ٥، ف ١٨٠، ص ٢٣٦.

^(١٦١) انظر المصدر نفسه: الإلياذة، ك ١، ف ٤٤٥، ص ١٣٧.

موضوع سيكولوجي عن طاقة الغضب، والآثار المترتبة عليه، وقد انتقل مفهوم هوميروس عن الغضب كونه رغبةً في الانتقام لخطأ ما لعدد من الفلاسفة اليونانيين؛ إذ تأثر أرسطو بمفهوم الغضب عند هوميروس، وهذا ما يذكره أرسطو صراحة في كتابه "الخطابة" (١٦٢)؛ إذ رأى أن الغضب هو الرغبة في الانتقام مصحوبة بالألم الناتج عن الإدراك المباشر لشيء ضارٍّ أو غير سارٍّ، ومن الممكن أن يتبعه شيء من اللذة من قبيل أنه يأمل أن ينتقم؛ لأنَّ المرء قد يتلذذ إذا ظن أنه وصل إلى ما تتوق إليه نفسه (١٦٣)، وهذا ما ذهب إليه هوميروس في مفهومه عن الغضب.

ويتوافق أيضًا مفهوم سينيكا عن الغضب مع مفهومه عند هوميروس؛ إذ تناول سينيكا في مؤلفه "عن الغضب" طبيعة الغضب وآثاره المدمرة؛ فالغضب عنده أيضًا هو الرغبة في الانتقام لخطأ ما (١٦٤)، وجنون مقتضب تعوزه السيطرة على النفس، ويتجاهل اللياقة، ويتغافل عن الروابط الشخصية والنية في تحقيق غاياته بفضاظة، ووقوف عن التروي العقلاني (١٦٥)، ولا يبتعد تعريف سينيكا عن التعريف الرواقي للغضب؛ فالرواقية تُعرّف الغضب بأنه رغبة الانتقام لظلم ما، وهذا تعريف شائع عند الرواقيين (١٦٦)؛ لذا أرى أن هذه المفاهيم الثلاثة للغضب عند كلٍّ من أرسطو، وسينيكا، والرواقيين تتوافق بشكلٍ كبيرٍ مع مفهومه عند هوميروس.

سادسًا - الصداقة:

سَلَطَ هوميروس كثيرًا من الضوء على الصداقة وقيمتها من خلال العلاقة بين أخيلوس وصديقه باتروكلوس؛ إذ كانت صداقتهما صداقة قوية، وعندما غضب أخيلوس

(١٦٢) أرسطو: الخطابة، ترجمة وتحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩، ١٣٨٠ ب، ص ٩١.

(١٦٣) المصدر نفسه: ف ١٣٧٨ ب، ص ٨٢، ص ٨٣. وانظر أيضًا: أرسطو: كتاب النفس، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة الأب: جورج شحاته فنواي، تصدير ودراسة: د. مصطفى النشار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١، ف ٤٠٣ ظ، ٥، ص ٧.

(١٦٤) سينيكا: عن الغضب، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ط ١، ٢٠٢٠، ك (٣-٢) b، ص ٥١.

(١٦٥) المصدر نفسه: ك (١-٢)، ص ٤٩.

(166) Cicero: On the Emotions "Tusculan Disputations 3 and 4", Translated and with Commentary by: Margaret Graver, The University of Chicago press, Chicago and London, 2002, B3, 11, p. 7. See also: Ibid: B4, 44, p. 54.

بسبب المرأة ذات النطاق الجميل "بريسئيس" التي أخذها أجامنون رُغمًا عنه؛ ترك أخيلئوس المعركة ورفض القتال مع الأخيين، وقرر أن يظل في مكانه في حين أنه يتوق إلى صحة الحرب والمعركة^(١٦٧)، وعلى الرغم من عروض أجامنون الكثيرة، والتوسلات أيضًا إلا أن أخيلئوس رفض العودة إلى المعركة^(١٦٨)، وهنا انتفض باتروكلوس -صديق أخيلئوس الحميم- محاولًا التضحية بنفسه من أجل إنقاذ شرف أخيلئوس وكرامته التي تلطخت بسبب رفضه مواصلة الحرب؛ إذ شعر باتروكلوس بأنه لا بُدَّ من ملء فراغ صديقه الناجم من انسحابه وغيبابه عن معركة الشرف والمجد، وهنا يصوِّر هوميروس الصداقة بأنها من الواجبات الأخلاقية التي لا ينبغي التقصير في أدائها، بل إن الصديق الحق من يقوم بالتضحية من أجل صديقه وإلا لما استحق أن يكون رجلًا أو بطلًا^(١٦٩).

وعندما ذهب باتروكلوس إلى المعركة قُتل على يد هيكتور^(١٧٠)؛ فذهب أنتيلوخوس Antilochus (ابن نيسطور الحكيم) إلى أخيلئوس وأخبره بمقتل صديقه باتروكلوس^(١٧١)، وهنا يصور لنا هوميروس مشاعر أخيلئوس نحو الصداقة؛ حيث ووقع هذا الخبر عليه كالمصاعقة، وحزن حزنًا شديدًا، وأقسم أن يثار له من هيكتور والطروديين جميعًا؛ إذ قال أخيلئوس عندما سمع خبر مقتل صديقه باتروكلوس:

"فحتى ذلك الحين لن ينزل من حلقي إلى جوفي طعام أو شراب؛ فرفيقي قد قُتل ويرقد في خيمتي مطعونًا برمحٍ حادٍ نافذٍ، وقدمه عند المدخل، ومن حوله يلتف رفاقي باكبين، ولهذا فليس في قلبي شيء وليس في عقلي تفكير إلا في القتل، والدماء، والوعويل الحزين على الميت (باتروكلوس)"^(١٧٢).

وهكذا تألم أخيلئوس من موت صديقه وحزن حزنًا شديدًا، وقرَّر الانتقام لصديقه الحبيب، وهنا يصوِّر لنا هوميروس معنى الوفاء وفاء الصديق لصديقه؛ فلولا موت

^(١٦٧) هوميروس: الإلياذة: ك١، ف٤٣٥، ص١٣٦. وأيضًا: المصدر نفسه: ك١، ف٤٩٥، ص١٣٨.

^(١٦٨) Hayley Rhodes Wittenberg: He whom I loved as dearly as my own life "An Analysis of the Relationship Between Achilles and Patroclus", An essay in A Journal of Student Research scientia et Humanitas, Middle Tennessee State University, spring, 2023, p. 52.

^(١٦٩) أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثًا إنسانيًا وعالميًا، ص٦٠.

^(١٧٠) هوميروس: الإلياذة، ك١٦، ف٨٢٠، ف٨٢٥، ف٨٣٠، ص٥٧٦.

^(١٧١) المصدر نفسه: ك١٨، ف٥، ف١٠، ف١٥، ص٦١٣. وانظر أيضًا:

-Hayley Rhodes Wittenberg: Op. Cit. p. 53.

^(١٧٢) هوميروس: الإلياذة، ك١٩، ف٢١٠، ف٢١٥، ص٦٤٨.

باتروكلوس لما عاد أخيليوس مرة أخرى إلى الحرب، وهنا يكمن معنى الوفاء في الصداقة عند هوميروس^(١٧٣).

ويرى هوميروس أيضًا أن الصداقة هي اتحاد بين شخصين في الحياة والموت؛ إذ أدرك أنتيلوخوس (الرسول) أفكار أخيليوس الانتحارية، وأمسكه بيده لمنعه من قتل نفسه، وهنا يرغب أخيليوس في الانضمام إلى صديقه المتوفى؛ فأخيليوس يحبُّ صديقه بقدر ما يحبُّ حياته^(١٧٤).

وعندما غلب النعاس على أخيليوس ظَهَرَ شبُّ صديقه الميت باتروكلوس، وذُكِر باتروكلوس أخيليوس بحياتهما المشتركة، وأعرب عن رغبته في لم شمله مع صديقه بعد الموت أيضًا، وقالت روح باتروكلوس له:

"أي أخيليوس، الآن تغط في نومك بعد أن نسيتني
في حين لم تكن تغفل عني وأنا على قيد الحياة،.....،
أستحلفك أن تحقق لي إذا اقتنعت،
وألا تضع عظامي بعيدًا عن عظامك، أي أخيليوس،
لنكن معًا في نفس المكان مثلما ترعرعنا معًا في البيت نفسه،....،
ولكل هذا ينبغي أن يجمع وعاء واحد رماد بقاياتنا"^(١٧٥).

ومن خلال النص السابق يصوِّر هوميروس الصداقة في خطاب باتروكلوس على أنها رفقة تستمر مدى الحياة، تبدأ في مرحلة الطفولة وتستمر حتى الموت، كما يصوِّر هوميروس فقدان الصديق لصديقه أشد ألمًا من فقدان الابن لوالده، أو فقدان الوالد لابنه؛ فقال أخيليوس:

"يا أعز صديق، يا تعيس الحظ، كم من مرّة كنت أنت نفسك تضع
بحماس أمامي في خيمتي مادبه حافلة بما لذّ وطاب،.....،
ولكن الآن ترقد مُضرجًا بالدماء ومطعونًا هنا وهناك في جسدك،.....،
ليس هناك أسوأ من هذا الشرِّ الذي أعاني حتى لو

(173) Hayley Rhodes Wittenberg: Op. Cit. p. 50.

(١٧٤) هوميروس: الإلياذة، ك١٨، ف٢٥، ف٣٠، ف٣٥، ص٦١.

(١٧٥) المصدر نفسه: ك٢٣، ف٦٥، ف٩٥، ص٧٣١، ص٧٣٢.

جاءني خبر وفاة أبي،...، أو خبر وفاة ابني الحبيب"^(١٧٦).

وقد أقسم أخيليوس بألا يُقيم الطقوس الجنائزية لباتروكلوس إلا بعد قتل هيكتور^(١٧٧)، وبالفعل قتل أخيليوس هيكتور^(١٧٨) مع أن أخيليوس يعرف أن موته سيتبع لا محالة موت هذا القائد الطروادي؛ إذ كانت النبوءات قد تحدثت بذلك^(١٧٩)، واستمراراً لمعنى الوفاء في الصداقة يصوّر هوميروس في الكتاب الثالث والعشرين من الإلياذة الألعاب الجنائزية على شرف موت باتروكلوس^(١٨٠).

ومن خلال ما سبق يُمكن القول أن اعتقاد هوميروس عن الصداقة يتمثل في

أنها:

- ١- شكل من أشكال الحب يقوم على التضحية.
 - ٢- علاقة قوية حصرية مع شريك واحد، يُلبّي معنى الوفاء.
 - ٣- اتحاد بين شخصين يرغبان في الحياة والموت معاً.
 - ٤- واجب أخلاقي لسد تقصير الصديق.
 - ٥- رفقة تنطوي على مشاعر وعواطف قوية.
- وبذلك أبداع هوميروس في تصوير القيمة الإنسانية للصداقة ومدى أهميتها لدى البشر؛ فمرةً تصنع المعجزة بعودة أخيليوس لميدان القتال، ومرةً أخرى تُظهر مدى تأثيرها في المعنويات والسلوك البشري.

^(١٧٦) هوميروس: الإلياذة، ك١٩، ف٣١٥: ف٣٣٥، ص٦٥١، ص٦٥٢.

^(١٧٧) المصدر نفسه: ك١٨، ف٣٤٠، ص٦٢٦.

^(١٧٨) المصدر نفسه: ك٢٢، ف٣٢٥، ف٣٣٠، ص٧١٨.

^(١٧٩) أحمد عثمان: الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، ص٣٢.

^(١٨٠) هوميروس: الإلياذة، ك٢٣، ف٥، ف١٠، ف١٥، ص٧٢٩.

• صداقة الإكسينيا:

يقصد بالإكسينيا (Ξενία) تلك العلاقة المتبادلة التي تنشأ بين الضيف والمضيف، وهي كلمة يونانية تعني الضيافة والكرم، أو الصداقة التي تظهر بين الضيف والمضيف^(١٨١)، وهي نوع من الصداقة يُساعد في الحفاظ على العلاقات الاجتماعية والسياسية بين أَسرتين، أو بين كيانات سياسية مُعينة من خلال الصداقة الطويلة بين الضيف والمضيف؛ فهو التزام يستلزم تبادل الضيافة وواجب رعاية بعضنا عندما يزور كل طرف بلد الآخر^(١٨٢).

وقد تحدّث هوميروس عن هذا النوع من الصداقة (Ξενία)، أي صداقة الضيوف في الكتاب السادس من الإلياذة بين ديوميديس Diomedes زعيم اليونانيين، وجلاوكوس Glaucus حليف الطرواديين؛ ففي أثناء المعركة بين الطرواديين والآخيين يتواجه كل من ديوميديس وجلاوكوس، وعندما تقاربا صاح ديوميديس البارح صيحة الحرب قائلاً: "مَنْ أنت من بين البشر الفانيين أيها المحارب القوي؟"^(١٨٣)، وهنا يتساءل ديوميديس عن هذا الرجل وعن هويته، هل هو من رجال الشهرة في الحرب لينال التعاسة والقتل، أم أنه إلهٌ خالّدٌ من السماء؟^(١٨٤)؛ فرد عليه جلاوكوس بأنه ابن هيبلوخوس، وهو الذي أرسله إلى طروادة؛ لئيشجّع كافة المحاربين على الاستبسال والقتال، وألا يجلب العار لسلالة آبائه^(١٨٥)، وعندئذ غرس ديوميديس رُمحه في الأرض وتعرّف على جلاوكوس، فأذ به صديق لبيت الآباء من قديم الزمان، وقد أكرم أوينيوس الإلهي Oeneus (جد ديوميديس لوالدته وملك ليكيا) ذات مرة بيليروفونتيس (ابن جلاوكوس) واستبقاه في قاعاته لمدة عشرين يوماً؛ وذلك بعدما أرسله الملك برويتوس إلى ليكيا، وأعطاه علامات مُميّنة لعله

(181) Liddell and Scott's Greek English Lexicon, Oxford University press, New york, 2001, p. 470. (Ξενία, ἦ). See also: Hayamus Tri-Lingual Lexicon "Ancient Greek – English – Arabic", Compiled and translated by prof: Mohie Metawa and others, Revised by: prof. Alia Hanafi, National Center for translation, Cairo, 2017, p. 542. (Ξενία, ἦ)

(182) Tsai, Hsiu-Chih: The stranger's friendship on the Battlefield "The performance of xenia in the Iliad", An essay in National Taiwan University, 2008, p. 192.

(١٨٣) هوميروس: الإلياذة، ك٦، ف١٢٠، ف١٢٥، ص٢٦٩.

(١٨٤) المصدر نفسه: ك٦، ف١٢٠، ف١٢٥، ص٢٦٩.

(١٨٥) المصدر نفسه: ك٦، ف٢٠٥، ص٢٧٢.

يهلك؛ إذ إنَّ زوجة برويتوس اتهمت بيليروفونتيس بأنه أراد أن ينال منها غضبًا على غير الحقيقة^(١٨٦)، وفي أثناء ضيافة أونيبوس لبيليروفونتيس تبادلًا هدايا الصداقة الجميلة، فقدَّم أونيبوس لبيليروفونتيس حزامًا لامعًا باللون القرمزي، وأعطاه بيليروفونتيس كأسًا ذهبية ذات مقبضين، ولذلك قال ديوميديس لجلاوكوس أنه يجب أن يتجنب كلَّ منا رُمح الآخر؛ ليعلم الجميع أننا أحباب ولنُعلنَ صداقتنا الموروثة منذُ أيام الآباء والأجداد^(١٨٧)، وبعد الانتهاء من حديثهما المطوَّل نزلًا من العربات وتصافحا وتعاهدا على الوفاء^(١٨٨).

وهنا يُشير هوميروس إلى استعادة الصداقة العائلية وإعادة تأكيدها؛ فهي أكثر أهمية من قتل عدو في ساحة المعركة، فهناك علاقة قوية قديمة مبنية على الإكسينيا^(١٨٩)، وهذا ما جعل البطلين أصدقاء ضيافة، ومن ثم لا يُمكنهما أن يتقاتلا؛ لذا يؤكد هوميروس من خلال هذا المشهد أنَّ هذا النوع من الصداقة هو نوع من الحماية والأمان، ويجب على كل اليونانيين الالتزام بالإكسينيا؛ إذ إن انتهاك سلوك الإكسينيا يؤدي حتمًا إلى مصائب تفوق الخيال والشخص الذي يتجاهل القانون الديني والثقافي للإكسينيا لن يفلت بسهولة من عقاب الآلهة والرجال معًا^(١٩٠)، وظهر هذا عند انتهاك باريس للإكسينيا؛ فكان انتهاكه نذير شؤم أدى إلى حرب بين المُدن تسبَّبت في كثير من الدمار؛ إذ قام باريس بإغواء زوجة مضيغه هيلين، وأخرجها من قصر مينيلأوس، وهذا انتهاك للقانون الديني والثقافي اليوناني للإكسينيا^(١٩١).

وظهرت الإكسينيا في الأوديسة أيضًا كإحدى الموضوعات التي فحصها هوميروس؛ إذ إنه فحص هذا النوع من الصداقة (صداقة الضيوف) التي يؤديها مضيفون مختلفون عندما يسافر أوديسيوس إلى أسر مختلفة خلال رحلته الطويلة إلى المنزل، وأيضًا عندما غادر ابنه تيليامخوس إيثاكا لتعقب المزيد من الأخبار عن والده^(١٩٢).

وبذلك جعل هوميروس الإكسينيا قاعدةً مشتركةً ورمزًا ثقافيًا يونانيًا، كونها

(١٨٦) هوميروس: الإلياذة، ك٦، ف١٦٠، ف١٦٥، ف١٧٠، ص٢٧٠، ص٢٧١.

(١٨٧) المصدر نفسه: ك٦، ف٢١٥، ف٢٣٠، ص٢٧٢، ص٢٧٣.

(١٨٨) المصدر نفسه: ك٦، ف٢٣٥، ص٢٧٣.

(189) Tsai, Hsiu-Chih: Op. Cit. p. 208.

(190) Ibid: p. 209.

(191) Ibid: p. 210.

(192) Ibid: p. 193.

المؤسسة الرئيسة لتعزيز العلاقات بين الأسر وبين المدن في عالم الإلياذة والأوديسة؛ لذا فإن الإكسينيا عند هوميروس تُجسّد في حد ذاتها المواجهات المحتملة بين العناصر غير المتجانسة على كل المستويات الثقافية، والاجتماعية، والسياسية، وكذلك النفسية؛ فعن طريق الإكسينيا يُصبح لدى الغريب أرضٌ أجنبيةً وبديلٌ فعّالٌ لأقربائه، وحامٍ، وحليفٍ، وملجأً يُعتمدُ عليه، وهذا النوع من الصداقة ستستفيد منها العلاقات اليونانية؛ لتقوية صداقاتها مع العائلات من مختلف المدن، ومن ثمّ توحيد العلاقات بين المدن وتحالفاتهم. وهكذا كان اعتقاد هوميروس عن قيمة الصداقة يكمن في كونها شكلاً من أشكال الحُب، والوفاء، والتضحية، وكذلك أكد بمفهومه عن الإكسينيا أنه مهما كانت الاختلافات والصراعات بين الثقافات فإن لقاء الثقافات المختلفة، وقبول الآخر، وإعادة دمجِهِ هو أمرٌ مُهم وحاسمٌ للعلاقات بين الأفراد والأسر.

الخاتمة:

يُمكن إجمال أهم نتائج البحث، على النحو الآتي:

أولاً- وضّحت الدراسة أنّ اعتقاد هوميروس عن الألوهية لم يكن اعتقاداً خُرافياً، بل ظلّاً للحقيقة السائدة في المجتمع اليونانيّ آنذاك؛ إذ صوّر هوميروس الآلهة في صورٍ بشريةٍ مجسمةٍ إلا أن هناك سائلاً ما يجري في عروقهم يكفل لهم الخلود، ورغم أن الآلهة في الإلياذة والأوديسة تظهر بالوظائف والاتجاهات نفسها إلا أن هوميروس كان أكثر احتراماً للآلهة في الأوديسة؛ إذ كانت الأوديسة ملحمة إنسانية تُركّز على الجانب الإنساني، وربما كان هذا يُمثّل تطوراً لاعتقادات معينة لم تكن تُمثّل له أهمية وقت كتابة الإلياذة.

ثانياً- لم تكن العلاقة بين الإنسان والآلهة عند هوميروس علاقة أخلاقية تقوم على الفضائل، وإنما كانت علاقة طقسية لا تعتمد على احترام الإنسان للإله بقدر ما تعتمد على ما يقدمه الإنسان من طقوس وترانيم يُمكنها أن تُرضي الإله.

ثالثاً- إن اعتقاد هوميروس عن أنسنة الآلهة قريبٌ إلى حدٍّ ما من تصور الشرقيين القدماء عن الآلهة؛ إذ يصور المصريون القدماء آلهتهم على شكل البشر؛ فهم يفرحون، ويتزوجون، ويتألمون، ويأكلون،... إلخ، ولكن رغم تأثر هوميروس بالنزعة الأسطورية النيولوجية الشرقية إلا أنه ينبغي ألا نُقلل من شأن إعادة التشكيل المبتكرة من قبل هوميروس.

رابعاً- أعطى هوميروس سلطة كبيرة واستثنائية للقدر، إذ رأى أنه السلطة الحاكمة التي يجب على الآلهة والبشر أن تخضع لها، كما أن فكرة القدر عنده تشير إلى فكرة احترام النظام الكوني، بمعنى أن الكونَ بأسره قائمٌ على نظامٍ متكاملٍ وينظّمه قانون واحد، وهذا القانون يُنظّم البشر والآلهة على السواء، ولا يُمكن للآلهة أن يخرقوا هذا النظام بشكلٍ مُطلقٍ، لأنهم خاضعون لهذه القوانين أيضاً، وأن أيّة انتهاكات لهذا النظام الكوني ستواجهه بحزم من ريات القَدَر.

خامساً- بيّن هوميروس في الإلياذة والأوديسة أن الموت لم يكن أبداً دعوةً للسلام، أو تحرر من الآلام، بل هو شرٌّ عظيمٌ، ومصير أسود منبؤد، وقد انتقل تصوره المشنوم عن الموت إلى تصوره عن العالم الآخر؛ إذ تصور هاديس (العالم الآخر) بأنه مكان مُظلم

وكئيب، ولا يسر القلب أو العين، ولا يعرف المرح والسعادة إليه طريقاً، ولم يكن مفهوم هوميروس عن الموت دعوة إلى الجبن وتجنب ملاقاته؛ إذ يدعو دائماً في ملحمته إلى الشجاعة في القتال والموت في ساحات المعركة، فالموت هو النهاية الحقيقية، ومن الأفضل أن يموت الإنسان بطلاً على أن يعيش جباناً.

سادساً - اختلف اعتقاد هوميروس عن المرأة في الإلياذة عنه في الأوديسة؛ حيث صور هوميروس المرأة في الإلياذة بصورة متدنية، وأعطى لها صفة الشثيية، وقد انتقلت هذه الصورة المتدنية للمرأة في الإلياذة إلى الفكر الفلسفي اليوناني؛ إذ تأثر بها أفلاطون وأرسطو؛ فأعطا للمرأة صفة الشثيية، وأنها تنفقر إلى الفضائل الأخلاقية والفكرية، ولكن الصورة العامة عن المرأة التي سادت الأوديسة هي صورة المرأة القوية، والوفية، والمخلصة؛ ولذا يُمكن القول بأن صورة المرأة في الإلياذة هي صورة مجسدة لفكرة الشر ذاتها، أما في الأوديسة هي صورة مجسدة لفكرة الخير.

سابعاً - إن الموضوع المحوري لمحمتي الإلياذة والأوديسة هو موضوع سيكولوجي عن انفعال الغضب، والآثار المترتبة عليه، وقد انتقل الاعتقاد الهوميري عن الغضب إلى الفكر الفلسفي اليوناني عند كلٍّ من أرسطو، وسينيكا، والرواقيين؛ فأرأوا في مؤلفاتهم المختلفة أن الغضب هو الرغبة في الانتقام لخطأ ما، وهذا نفسه يتوافق مع اعتقاد هوميروس عن الغضب.

ثامناً - أعطى هوميروس قيمة كبيرة للصدقة، وبيّن أهميتها لدى البشر باعتبارها شكلاً من أشكال الحب، والوفاء، والتضحية، وأشار هوميروس أيضاً إلى نوع آخر من الصدقة وهو "الإكسينيا" كونها رمزٌ ثقافيّ يونانيّ الغرض منه تعزيز العلاقات بين الأسر وبين المدن المختلفة، ومهما كانت الاختلافات والصراعات بين الثقافات فإن الإكسينيا تُساعد على لقاء الثقافات وقبول الآخر وإعادة دمجه.

وأخيراً بعد مناقشة عدد من الاعتقادات الراسخة عند هوميروس التي آمن بها في الإلياذة والأوديسة يُمكن أن يتبين لنا أن الإلياذة والأوديسة ليستا عملين أدبيين فحسب، بل كانتا تمهيداً أصيلاً لنشأة الفكر الفلسفيّ عند اليونان؛ فالأساطير العظيمة التي تحملها الملحمتان السابقتان ليست أوهاماً، بل هو منطوق النفس الإنسانية آنذاك، وما الأساطيرُ

إلا الإدراك الرمزي لتلك الحقائق، وما قَدَّمَتْهُ في هذه الدراسة ما هي إلا محاولة للاقترب من اعتقادات هوميروس الثيولوجية وفلسفته عن الحياة التي أصبح لها صدى كبير عند فلاسفة اليونان.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً- المصادر:

(أ)- المصادر المترجمة إلى العربية:

- ١- أرسطو: الخطابة، ترجمة وتحقيق وتعليق: د. عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٧٩.
- ٢- _____: كتاب النفس، ترجمة: د. أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة الأب: جورج شحاته فنواطي، تصدير ودراسة: د. مصطفى النشار، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١.
- ٣- أفلاطون: محاوره الجمهورية، دراسة وترجمة: د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥.
- ٤- سينيكا: عن الغضب، ترجمة: د. حمادة أحمد علي، آفاق للنشر والتوزيع، القاهرة، ١، ٢٠٢٠.
- ٥- هوميروس: الإلياذة، ترجمة: د. أحمد عثمان، د. لطفي عبد الوهاب، د. منيرة كروان، وآخرون، تحرير وتقديم ومراجعة: د. أحمد عثمان، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢، ٢٠٠٨.
- ٦- _____: الأوديسة، ترجمة: أمين سلامة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠٢١.
- ٧- هيرودوت: الكتاب الثاني "عن مصر"، ترجمة عن اليونانية: د. محمد صقر خفاجة، تقديم: د. أحمد بدوي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧.

(ب)- المصادر الأجنبية:

- 1- Cicero: On the Emotions "Tusculan Disputations 3 and 4", Translated and with commentary by: Margaret Graver, the University of Chicago press, Chicago and London, 2002.

ثانياً- المراجع:

(أ)- المراجع العربية والمترجمة إليها:

- ١- أ.أ. نيهارت: الآلهة والأبطال في اليونان القديمة، ترجمة: د. هاشم حمادي،

- الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط١، ١٩٩٤.
- ٢- **أحمد عثمان**: الأدب الإغريقي تراثاً إنسانياً وعالمياً، دار المعارف، القاهرة، ط٢، ١٩٨٧.
- ٣- **باري بي باول**: هوميروس، ترجمة: محمد حامد درويش، مراجعة: شيماء طه الريدي، مؤسسة هنداوي، ٢٠١٩.
- ٤- **برتراند رسل**: حكمة الغرب، ج١، ترجمة: د. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٣.
- ٥- **توماس كارلايل**: الأبطال، ترجمة: د. محمد السباعي، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ نشر.
- ٦- **جاك شورون**: الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٤.
- ٧- **جفري بارندر**: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، ترجمة: د. إمام عبد الفتاح إمام، مراجعة: د. عبد الغفار مكاوي، عالم المعرفة، ١٩٩٣.
- ٨- **جون ريتشارد**: الديانة اليونانية، ترجمة: وفاء طقوز، ضمن موسوعة تاريخ الأديان "اليونان - الرومان - أوروبا ما قبل المسيحية"، ك٣، ترجمة: أسامة منزلجي، نيفين أديب وآخرون، تحرير: فراس السواح، دار التكوين، دمشق، ط٤، ٢٠١٧.
- ٩- **حربي عباس عطيتو**: الفلسفة القديمة من الفكر الشرقي إلى الفلسفة اليونانية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٩.
- ١٠- **س.م. بورا**: التجربة اليونانية، ترجمة: د. أحمد سلامة محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.
- ١١- **شرف الدين عبد الحميد**: المقدمات الهيرمينوطيقية للفلسفة اليونانية، تصدير: د. مجدي السيد كيلاني، دار الوفاء لندنيا للطباعة والنشر، الإسكندرية، ط١، ٢٠٢٢.
- ١٢- **عبد المعطي شعراوي**: النقد الأدبي عند الإغريق والرومان، مكتبة الأنجلو

- المصرية، القاهرة، ١٩٩٩.
- ١٣- علي حسين قاسم: جدلية العلاقة بين الدين والأسطورة "دراسة تحليل لمفهوم الأسطورة في فلسفة الدين"، حولية كلية الآداب، جامعة بني سويف، المجلد الخامس، ج١، ٢٠١٦.
- ١٤- علي عبد الواحد وافي: الأدب اليوناني القديم ودلالاته على عقائد اليونان ونظامهم الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٠.
- ١٥- ف. جويراند: الآلهة والأساطير اليونانية، ترجمة: أسامة منزلجي، ضمن موسوعة تاريخ الأديان "اليونان - الرومان - أوروبا ما قبل المسيحية"، ك٣، دار التكوين، دمشق، ط٤، ٢٠١٧.
- ١٦- كارم محمود عبد العزيز: أساطير العالم القديم، مكتبة النافذة، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧.
- ١٧- مصطفى النشار: المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ط١، ١٩٩٧.
- ١٨- مصطفى النشار: فكرة الألوهية عند أفلاطون وأثرها في الفلسفة الإسلامية والغربية، مكتبة مديولي، القاهرة، ط٢، ١٩٨٨.
- ١٩- _____: مدخل إلى فلسفة الدين، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ٢٠١٦.
- ٢٠- منيرة كروان: العالم الآخر في المسرح الإغريقي، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٩٣.
- ٢١- يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٦.

(ب)- المراجع الأجنبية:

- 1- **Amanda Turner**: Across the sea's Broad Back "interpreting the Role of Homer's women in Odysseus", Quest for Ithaka, Boston , College, 2008.
- 2- **Arthurl Keith**: Fate and Freedom as viewed by Homer, An

- essay in southern Illinois University, 1928.
- 3- **Audrey Wen:** Penelope, Queen of Ithaka " A study of female power and worth in the Homeric Society", Magister thesis in Department of Archaeology and Ancient History, Supervisor: Gullog Nord quist, University of Uppsala, 2009.
 - 4- **Clifford H. Moore:** The Religious thought of the Greeks "From Homer to the triumph of Christianity", Harvard University press, London, 1916.
 - 5- **E. Sarischoulis:** Fate, Divine will and Narrative concept in the Homeric Epics, An essay in open edition Journals, Vol(10), December, 2016.
 - 6- **Emily Kearns:** The Gods in the Homeric epics, in the Cambridge companion to Homer, Edited by: Robert Fowler, Cambridge University press, 2006.
 - 7- **F.A. Wright:** Feminism in Greek literature "from Homer to Aristotle", George Rout ledge & Sons, LTD, London, 1923.
 - 8- **G.S. Kirk, J.E. Raven :** The pre-Socratic philosophers "A critical History with A selection of texts", Cambridge University press, 1962.
 - 9- **Hans Van Wees:** The invention of female mind "women, property and Gender Ideology in Archaic Greece", An essay in conference of women and property, University College London, 2005.
 - 10- **Hayley Rhodes Wittenberg:** He whom I loved as Dearly as my own life "An analysis of the Relationship Between Achilles and Patroclus", An essay in A journal of Students Research Scientia et Humanitas, Middle Tennessee state University, spring, 2023.
 - 11- **James Duffy:** Homer's conception of Fate, An essay in the classical Journal, No. 8, Vol (42), May, 1947.
 - 12- **Karen Anne:** Tales for All time "The Role of emotion in modern Reception on Homeric Epic", A thesis submitted for the degree of Doctor of philosophy, The Australian National University, 2021.
 - 13- **Larry. Arnhart:** A sociobiological Defense of Aristotle's sexual politics, An essay in international political science

- Review, No. 4, Vol (4), 1994.
- 14- **Lewis Spence**: An introduction to Mythology, Moffat yard and Company, New York, 1921.
- 15- **Mingyi Sui**: The Concept of fate in homer's Epic "An interdisciplinary perspective", An essay in the 2023 5th international conference on literature art and Human development, Hangzhou Normal University, China, 2023.
- 16- **Naoko Yamagata**: Homeric Morality, A thesis submitted to the University of London, for the degree of Doctor of Philosophy, University College London, April, 1990.
- 17- **Robert Garland** : The Greek way of Death, Cornell University press, New York, 1985.
- 18- **Sebastiaan Van Der**: Poseidon's Anger in the odyssey, "in Emotions and Narrative in Ancient Literature and Beyond", Edited by: Mathieu D. debakker and others, Brill, 2022.
- 19- **Susanna Braund, Glenn W. Most**: Ancient Anger perspectives from Homer to Galen, Cambridge University press, New York, 2003
- 20- **Tsai, Hsiu – Chih**: The stranger's friendship on the Battlefield "The performance of Xenia in the Iliad", An essay in National Taiwan University, 2008.
- 21- **W. E. Gladstone** : Studies on Homer and Homeric Age, Oxford University press, Vol (1) of (3), 2014.

ثالثاً – القواميس والمعاجم والموسوعات:

(أ) – العربية والمترجمة إليها:

- ١- بيير ديفانبيه وآخرون: معجم الحضارة اليونانية القديمة، ج ١ (أ-ز)، ترجمة وتقديم: د. أحمد عبد الباسط حسن، مراجعة: فايز يوسف محمد، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط١، ٢٠١٤.
- ٢- حسن نعمة: موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٤.
- ٣- فراس السواح: موسوعة تاريخ الأديان "الشعوب البدائية والعصر الحجري"، ك١، دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق، ط٤، ٢٠١٧.

(ب) - الأجنبية:

- 1- **Hayamus Tri-lingual Lexicon** "Ancient Greek-English–Arabic", Compiled and Translated by: prof Alia Hanafi, National Center for translation, Cairo, 2017.
- 2- **Liddell and Scott's** Greek – English Lexicon, Oxford University press, New York, 2001.
- 3- **New Larousse Encyclopedia of Mythology**, Introduction by: Robert Graves, Translated by: Richard Aldington and Delano Ames, revised by: a panel of editorial advisers from the Larousse mythologie Generated edited by: flexi Guiranst, the librairie Larousse Paris, 1st edition, 1987.